سقوط الديكتاتور الأزرق

علاء حامد

سـقوط

الديكتاتور الأزرق

عـلاء حــامـد

١- منذ فترة ليست بالقصيرة وأنا أعاني الوحدة والضياع ..
آخر قصة كتبتها انتهت فصولها بانتحار البطلة .. نهاية مأساوية ضفرتها الأحداث .. توقفت بعدها عن الكتابة ربما ندماً .. ربما تكفيراً .. ربما فترة حداد.

وحيداً بعد أن هجرتني " سماح " .. سألتها الأسباب جاءتني إجابتها مغلفة بالغرابة " القبلة " زمن أغبر هذا الذي تهجر فتاة حبيبها لأن الشفاة لم تتلامس .. هي تعرف أنني لا أحب قطف الثمرة غضة لكنها تعجلت رغبة لم تنضج كنت أنتظر من جنين الحب أن يكتمل ويخرج للحياة ويحبو لكنها أجهضته في قسوة وهي تحدد مصير علاقتنا باستخفاف غريب في كلمتين "دعها للظروف" أي ظروف تلك ؟ إن ما يحركها نحوي ليس سوي عاطفة مشبوبة بالتحام جسدينا .. إنه الكبت الذي أصاب المجتمع بالبثور والتقيحات .. حرمان أدي به إلي كلاكيع وعقد وأمراض نفسيه لا حصر لها .. علاجه الوحيد لقاء جنسي عابر وهو ما فعلته سماح بعد هجرها لي .. فقد عشقت فتاة مراهقة تنشق وإياها الرغبة في حجرتها المغلقة بينما والديها يتفرجان على برامج التليفزيون!!

٢- قررت الخروج عن مسار وحدتي .. ارتديت ملابسي على عجل .. لا هدف لي سوي الانطلاق من هذا الطوق النفسي المحبط .. احتواني الشارع بضجيجه وزحامه .. خلال دقائق كنت أسيراً لمقعد مرتفع في بار مطعم " هارون الرشيد " وحيداً لا أنيس لي سوي حفيف الأصوات الخفيضة المتناثرة لرواد البار .. أعاني ركود مياه مستنقع .. في أمس الحاجة إلي حجر ينقذف داخلي يحرك الآسن من المياه .. متشوق لمن يخطف بصري .. متعطش إلي خطر يحدق بي .. نهم إلي حدث ينتشلني من ركود مياه المستنقع .. رغبة عنيفة تتوحد بي أن يبهر مقلتي عينيي ضوء ساطع أري من خلاله المجهول الجاثم على صدري .. الكأس الزجاجي بين أناملي في قاعه تنام طبقة الويسكي الذهبي تتخللها مكعبات ثلج شفافة .. أهزها يصدر عنها صوت حشرجة ارتطام مكعبات الثلج بزجاج الكأس تعلن نهايتها بتسييلها .. أحاول في جلستي تلك وأنا أرشف الكأس وراء الآخر إطلاق العنان لأفكاري المقيدة بقيود لا مرئية دون جدوى فالقيود متعسفة .. شديدة الوطأة..

أثناء محاولاتي تلك جلست إلي جواري على المقعد المرتفع فتاة في ميعة النضج رشيق قوامها .. منسدل شعرها الفاحم .. ثري صدرها المكتنز وذؤابته تطل من فتحة الفستان في إثارة وتبجح .. رغم هذه الوصاف المثيرة للانتباه لم آبه لها .. فتاة صائدة تتصيد زبوناً في فراش مخملي يدفع المقابل ثم تمضي لحال سبيلها .. لكن من زاوية حب استطلاع ضيقة تأملتها .. الوجه والعينين والجيد الفاضح .. حادة الملامح .. قوية الشخصية .. واثقة .. بعد أن حطت عليها عيناي .. أحسست بنفسي تزفر عادم اللامبالاة .. الطائر الحبيس يرغب الانطلاق .. يرفرف بجناحيه .. يهفو للحرية .. يغرد لها .. هززت رأسي .. لا مصدق .. ربما الخمر لعبت برأسي لكن نظراتي المارقة لها وهي تشير للطفي البارمان وهمستها الخاطفة " مارتيني دوبل " وهي تلتقط الكأس ترفعه إلي فمها دفعتني لأتحسس طريق الفهم ما هذا وما ذاك ؟ .. ربما قدري هو الذي أتي بي إلي هنا ويجلس الآن يتقمصني على المقعد المرتفع .. المرأة حقاً جميلة .. مثيرة .. ترشف كأسها كأنها تقبله .. تأملتها .. أمعنت النظر إلي بحر عينين غامض وابتسامة مبهمة تجذبني

إليها .. مسحور أنا .. مسحوب بلا إرادة والسائل الذهبي يتواري خلف فتحة حمراء يبطنها لسان دموي .. انفتحت وانغلقت وهمستها للطفي " كأس تاني " التقطت سيجارة من هذا النوع الفاخر الذي يدخنه الأثرياء أسرعت بإشعالها وخواطري تحلق حولها في نهم لمعرفة نوع هذا الطائر الجميل الذي حط فجأة بجواري .. بلبل .. عصفور .. كناريا .. ببغاء .. أبداً ليست واحدة من إياهم .. مظهرها لا يوحي بذلك .. لا مكياج صارخ ولا ابتذال .. الملبس ثري فستان سواريه أسود يعلوه معطف مِنْك وثعبان ذهبي يطوق رقبتها يحذر أي يد أن تلمسها .. الفضول يستحوذ على إرادتي وأنا أشعل سيجارة أقدم لها أخري .. غمرتنى بابتسامة غامضة من ثغر أكثر غموضاً عجزت عن معرفة فحواه .. مضمونه إلا دعوة منه أن أعبده .. أن أصير عبداً له وكلماتها الهادئة المطمئنة تأسي مشاعري .. تربت على أحاسيسي:

- شكراً .. أنا لا أبدّل.

لاحقتها بكلماتي وأنا أمد لها يدي .. صافحتني:

- عقبي الملواني.

ردت هي الأخرى:

- سهي الدجوى.

هزت رأسها هزات متواليات عجزت عن تفسيرها قبل أن تستطرد قائلة:

- صورتك كانت منورة في الأهرام.
- عجبك المقال؟!
- يعني !!
- والترجمة الحرفية ؟!
- اخترت موضوع حساس وحطيت له حلول سطحية.
- وضحي لأن الغباء هي سمتي الأساسية.

قلتها ساخراً.

- قبل ما تخوض في ظاهرة الختان وأسبابها وطرق علاجها غيّر المفاهيم.
- تناولت هذا المعني في المقال.
- على الهوامش. المفروض يكون عصب الموضوع.
- المقال التالي بمشيئة الله.

حل الصمت .. ضقت بـه .. " طقـت " فـي عقلـي استطردت قائلاً:

- أو اختاري موضوع يروقك وأنا أكتب عنه.

احتوانا صمت بليد .. اتسـعت رقعتـه لملمتـه سـهي بابتسامه تشق الصخر وقولتها:

- اكتب عني.

رددت في دهشة مزجتها الفجاءة:

- إنتِ !!

ردت غاضبة في حدة:

- ماذا دهاك كأن الكتابة عني وصمة.
- أنا آسف .. لم أقصدها .. لكنك فاجئتيني.

عاد الصمت يطوق جلستنا قبل أن أسألها من جديد:

- لكن ماذا يمكن أن أتناوله عنك؟
- قصتي مثيرة !!
- أتمني أن لا تكون صورة مكررة لما نسمعه ونقرأه في باب مطاوع.
- لا .. إنها من نوع مختلف.
- شوقتيني.

- العنب لا يقطف قبل أوانه.
- وأوانه؟
- قريباً سنلتقي.

فور أن ألقت بكلماتها تلك استقامت قامتها .. ألقمت لطفي الحساب لملمت المعطف المنك على كتفيها .. ثواني واختفى طيفها.

٣- أيام وأنا انتظرها على أحر من الولعة أجلس هناك على البار بالساعات الطوال ممتشقاً حسام اللهفة لرؤيتها .. ليس هذا النوع من اللهفة على المحبوب بل لهفة حب الاكتشاف .. هذه المرأة أغرقتني بنظراتها الغامضة وملامحها وأراءها الصريحة في بحر من الإثارة..ماذا هي وكيف هي؟..شغوف بمعرفتها.. في كل مرة أرتاد البار أسأل لطفي عنها والرد المعتاد عن كل أسئلتي..لا.. لا..لا. لكن في المرة الأخيرة همس في أذني وأنا أسأله:

- حصل.

سكت عاد مستكملاً:

- بالأمس كانت تجلس في مكانك وسألت عنك وطلبت مني رقم تليفونك.

سكت .. عاد معقباً:

- أكيد كلمتك.

لم أعد أسمع ثرثرته بعد أن استحوذت على تفكيري كلماته وبدأت في نسج خيوط قصة ربما اتصلت بي في وقت لم أكن متواجداً في البيت .. وربما هي الآن في طريقها إلي .. نهضت من مكاني فجأة أسرعت إلي الخارج .. إلي سيارتي .. إلي البيت..على أحر من الجمر وأنا انتظر مكالمتها دون جدوى..سراب..سراب.

٤- في اليوم التالي دق جرس الباب .. إنه المكوجي .. أو البوسطجي .. وربما الفرارجي لا يهم ما دام الكل على وزن جي .. لكن إصرار الدقات دفعني للنهوض من السرير متكاسلاً وعلى لساني كم هائل من البذاءات لهذا الطارق الذي يوقظني الساعة الثانية عشر ظهراً !! فور أن فتحت المتاريس وجذبت ضلفة الباب .. رأيتها .. سهي أمامي بعينيها الثاقبتين .. بعطرها الفياح .. بملامحها الأسطورية وسط ذهولي .. نحتني بيدها

الرقيقة جانباً وابتسامة تعلو شفتيها نفس الابتسامة التي كانت تمتشقها في البار .. تقدمت داخل الشقة بخطى واثقة .. صاحبة بيت تعرف تماماً خريطته..تخيرت أريكة الشازلونج..تمطت بجسدها همست في أنوثة:

- هل تريدني أم قصتي؟!
- ربما تصبح معرفتي بقصتك وسيلتي لك.
- وربما لا.
- حتى لا هذه لن تندمي عليها.
- كنت أظن أنك متلهف عليّ منذ لقاءنا الأخير في البار.
- وما زلت .. لكن كل ما أرغبه سماع قصتك.
- لتنهيها بسرير يئز تحت جسدينا ورغبة تحتوينا وشبق وارتواء.
- شئ ما يربطني بك .. لا أدري ما هو .. ربما تقابلنا في زمن آخر وفي وقت آخر.

ضحكت .. قالت ساخرة:

- قبل أن نولد.
- صح.

- ومتنا قبل أن تكتمل القصة.
- وأنا هنا لأكملها معك.
- لن تستطيع بأفاعيلك إغوائي.

ابتعدت عنها قليلاً إلي مكتبي .. التقطت قلمي .. لوحت به لها قلت:

- بل بهذا الساحر.
- تسحرني؟!
- بل أرسم قدرك.
- أنت؟!

قالتها باستخفاف.

اتجهت إلي المطبخ .. التقطت زجاجة بداخلها صرصار .. سألتها:

- أكيد شايفه ما بداخل الزجاجة!!
- منظر مقزز.
- هذا الصرصار ينفذ كل أوامري.
- كلام فارغ فالصرصار لا يعقل ولا يفهم ولا يعي لغتنا أو إشاراتنا.
- أطلبي منه وسينفذ كل ما تطلبيه.

ضحكت قالت بلا اكتراث:

- خليه يهز شواربه.

أغمضت عينيي .. رحت في شبه غيبوبة .. صاحت سهي:

- كما لو كان يرقص بها .. سحر.

في بادئ الأمر ظنت سهي أن ما حدث ليس سوي خداع نظر .. فِعْل من أفاعيل السحرة كما يحدث عادة في الاستعراضات عندما تختفي ساعة أو محفظة أو سلسلة مفاتيح من أحد المشاهدين ثم تظهر مع الساحر بعد ذلك .. تشككت سهي وحتى تذوب شكوكها سألتني أن يخرج الصرصار من عنق الزجاجة .. نفس الإغماءة وصرخة سهي وكلمات على ضفافها الدهشة والتعجب:

- معجزة.

عادت سهي تسألني في فضول:

- كيف فعلتها؟

أجبتها في صدق:

- حتى أنا لا أعرف.

الأنوثة تتوسد الشازلونج .. طاغية .. جبارة .. استمع لقصتها المثيرة من الألف للياء .. راقصة في ملهي يلتقطها

"عزوز" زبون ريش يتزوجها .. على علاقة بالسمنودي عشيق تستحلب معه متعتها وبعد أن انتهت قلت لها:

- قصة مثيرة سأكمل لك فصولها.
- على الورق.
- بل في الواقع.

لم تستوعب المفهوم الصريح للعبارة .. تساءلت في فضول:

- أي واقع هذا الذي تتحدث عنه.
- أرسم لك حياتك وخريطة مستقبلك.
- شمهورس حضرتك .. تأكل جلاس وترسم أقدار الناس!!
- نجرب.
- تخاريف!!

قالتها مستنكرة .. أردفت بعدها قائله:

- المايه تكدب الغطاس.
- أنت الماء وأنا الغطاس.
- حتماً ستغرق !!
- ومن أدراك؟

- على فرض صحة كلامك .. ما هو الثمن؟
- لا شئ مطلقاً.
- لقد علمتني الحياة أن لكل شئ ثمناً.
- تقصدي الفائدة التي تعود عليّ.
- وليكن .. لا يهم الاسم بل المضمون.
- ما أجنيه هو المتعة.
- تقصد متعة التلحين على قيثارتي.
- بل متعة الخلق.
- أي خلق هذا .. فلا يوجد سوي خالق واحد.
- خالق واحد نعم .. أعطي قدراته لغيره .. فماذا تقولين عن العلماء والمخترعين وأصحاب الرسالات.
- وأنت واحد من هؤلاء؟!

قالتها في سخرية .. أجبتها في ثقة:

- لقد رأيت الصرصار بعينيك.
- صرصار .. حشرة .. أما أنا فإنسان أملك إرادتي وحريتي.
- لن تندمي .. ستعيشين مع قلمي تجربة مثيرة تتحاكاها الأجيال من بعدك.

- رغم إنني واثقة أن ما تقوله ليس سوي دجـــل .. لكن سأخوض معك التجربة.
- عليك أولاً أن تؤمني بي وتصدقيني.
- لا صلة بين هذا وذاك.
- بل الصلة وثيقة.
- يا ليتني أفهم المغزي.
- المغزي هو اختصار المسافات.
- اختصار مسافات ماذا؟!
- انظري إلي منضدة الصالون .. يوجد على سطحها فازة بجوارها تمثال لفيل يفصل بينهما مسافة .. فلو استطعنا اختصار تلك المسافة فقد حققنا معجزة.
- عبقري !! يمكن تحقيق ذلك بتحريـــك التمثـــال أو الفازة.
- ما أقصده وسيلة ذاتية لتحريك التمثال.
- تبقي مجنون.
- بصي للترابيزة.

رحت في إغماءه طويلة .. صرخت بعدها سهي:

- معجزة.

استطردت بعدها قائلة وهي تتحسس بيدها المنضدة وما حولها:

- كيف فعلتها ؟!
- لا أدري !!
- يعني إيه لا تدري .. لقد اقترب التمثال من الفازة حتى لاصاقها.

تأملتني مذهولة وقد احتوتها رجفة .. همهمت بعدها مستطردة:

- أكيد فيه شيطان متقمصك.
- وربما إله!!
- إنك بهذا تستطيع اختصار الزمن.
- بل وربما تغييره.
- الآن فقط أستطيع أن أخوض التجربة معك وأنا مطمئنة.

٥- أيام لم أغادر فيها شقتي .. سهي استحوذت على كياني .. وجداني .. توحدت بي لبستني مثل ثوب وكان علىّ أن أخلعه .. أمسكت بالقلم عاندني .. رغبتي جارفة في

الميلاد .. لكن الولادة عسرة وأنا استكمل أحداث قصتها..

" عزوز " في انتظار " سهي " .. استقبلها في بشاشة .. سألها في نبرة هادئة:

- يا رب تكوني قضيتي وقت لطيف.

أجابته في كذب مكشوف .. هو يعرف عندما تكذب .. تتحاشي النظر لعينيه تتعثر الكلمات بين شفتيها:

- قعدت مع شلة النادي بعدها رحت مول " حور " وتفرجت على مجموعة أحذية حريمي بشوكها من إيطاليا .. ياه يا عزوز تجنن لكن الفلوس خسعت.

سكتت التقطت كرافته من كيس استطردت قائلة:

- شوف هديتك.

- جميلة خالص يا حبيبتي.

لقد كذبت عليه .. فبعد أن غادرت النادي توجهت إلى مرسم عشيقها رضا السمنودي .. تعشق فيه نهمه وهو يعريها يقتنص من أعماقها طائر الرغبة الأسود .. يذبحه .. على رائحة دمائة تعثر على نشوتها مثل سمك القرش مع فرائسه .. أن رضا السمنودي يعاملها كامرأة ساقطة لذلك

يتفانى في إشباعها .. يستنطق غريزتها الخرساء وهو يعبث بمحتوياتها .. صدرها وشفتيها واللآلئ .. كلما تفاني في إشباعها تصرخ غريزتها طالبة المزيد .. يحتوي جسدها سعار الرغبة وهو يستولد منها كل الطاقات العاطلة .. تصرخ وتتوجع .. تعيش معه على فوهة بركان قارب قذف حممه وهي تستجديه تستعطفه أن يساعدها حتى تكتمل نشوتها.

سهي في السرير مثل خرقة باليه جفف بها السمنودي أصابع قدميه المبللة تلتقي أذناها بدقات ساعة الحائط .. أسرعت لترتدي ملابسها وتساؤل يعذبها هل ما يحدث لها الآن تفعله بكامل إرادتها أم أنه قلم عقبي الملواني ؟ تخريف!! كذب!! لا يمكن لمجنون أن يصدقه .. فمنذ متى تتحول الكلمات المسطورة على الورق إلي حقائق.. نعم لقد استطاع تقريب المسافة أو اختصارها بين التمثال والفازة لكن ليس معني هذا رسم أقدار البشر.استرجعت سهي نفسها من خواطرها وزوجها يسألها في طيبة:

- المهم تكوني انبسطت.
- يعني!!

- مناي تكوني أسعد إنسان في الوجود.

هو يحبها لدرجة التأليه .. لقد هددها بالانتحار عندما أسرت له برغبتها في هجره ولما سألها السبب لم يفاجئ بإجاباتها:

- لا أريد أن أخونك.

هي تريد أن تقول له أن ضميري يعذبني لأنني أخونك .. لكنها لا تقدر لا تستطيع أن تنكيء جرحاً قديماً .. أنه لم يأتها منذ ثلاث سنوات .. آخر لقاء فاشل بينهما كان في شرم الشيخ .. في هذه الليلة عجز تماماً أن تلج فتوته أعماقها .. هو لا يدري السبب فقد كان في أتم لياقته الجنسية هي الأخرى لا تعرف ماذا حدث .. هكذا فجأة دون مقدمات تدهورت حالته .. حاولت استنهاض همته .. تحريك خموله .. إثارة حواسه .. أفاعيلها مثل أفاعيل السحرة.. لا جدوى فالانتكاسة ضخمة .. لكنه لم يألو جهداً .. سافر للخارج .. عرض حالته على مشاهير الأطباء في أوربا وأمريكا .. نتيجة الفحص لا يوجد سبب عضوي للنكسة .. لجأ للمشايخ .. مربوط .. وفك ربطه ثمنه ذبح ضحية ودم منزوف وفلوس ياما .. لم يبخل على نفسه .. دون جدوى .. فالحالة صفيح صدئ من النوع الذي أكلته " البرومة " .. استمع

لنصيحة طبيب صديق .. " لن يفك نحسك سوي إمرأة أخري " .. إنه يكره أن يخون سهي لكن في كثير من الأحيان لا بد أن يتحمل المريض مرارة الدواء .. بحث في أجندة عقله .. نوال صديقة سهي .. مجنحة فتية .. عملاقة في أنوثتهـــا .. فجة الرغبة .. أكثر من مرة تبدي إعجابها به عندما تنفرد به في النادي .. حول المنضدة .. وهما يتجـــولان .. حاولـــت أكثر من مرة استثارته بأفاعيل صغار .. لفظة جنسيه شاردة .. ربتة على فخذه .. ملامسة بصدرها الكثيف .. أفاعيـــل تعبر عن مكنون جنسي في رسالة تريد توصيلها إليه. حادثها في التليفون .. سعت إليه لا مصدقة .. سألته في اســـتغراب مصنوع:

- خير يا عزوز.

مفاتنها خارقة للعادة .. أنوثتها تلح عليه في إصـــرار .. هوامشها السفلي كثيفة بالشحم الرجراج .. يهتز عنـــد كـــل حركة .. قبل كل سكنة .. فمها مبسم صغير وهـــي تشـــعل سيجارة .. تقبلها .. توحي له بإيحاءات جنســـية ســـوقية .. صامت وهو يتأمل بإعجاب إحدى خوارق الجنس السبعة .. بدءاً بالفم وانتهاء بالكعبين وسؤال يتخايل عليه قبل أن يطبق

عليه .. كيف هي في الفراش ؟! ابتلع ريقه بصعوبة .. الدماء تتدفع في شرايينه .. راية الرغبة ترفرف .. تحفها الألحان والأغاني وهو يقترب منها يلاصقها وإحدى ساقيها يحتضن الأخرى وكمبلزون أحمر فاقع يبصبص منهما .. طال الصمت .. لم يرد عزوز على سؤالها .. " إلي متي " ؟! وقبل أن يتحول الصمت إلي جدار يفصل بينهما همست تقول في إغواء:

- يعني ساكت؟!
- السكوت علامة الرضا.

لم يكن يعرف أن سهي حادثت نوال عن مكنون علاقتهما الجنسية المتدهورة معه وأنها طلبت منها مساعدتها في فض بكارة المستحيل لاستعادة عزوز من أزمته الطاحنة .. عزوز في مواجهتها وقد نفرت دماء جسده .. لهيب الرغبة يلسعه وهو يحضنها .. لماذا دائماً للخطيئة طعم ورائحة .. طعم النشوة ورائحة التملك.. طعم كاسح غريب مختلف عن كل طعوم الحلال الفاسدة .. رغبته في اقتناء هذا المارد الجنسي وقد لوح له بإشارات الاستسلام لنزواته وهو

ينهض .. يده تحتضن يدها .. تتبعه مثل قطة أليفة تسأله رغم أنها تعرف المنتهي:

- واخدني ورايح على فين؟
- على الجنة !!
- كده قفش؟!
- وهو فيه أحسن منه.

دلفا إلي حجرة النوم .. سألته في غرابة مصنوعة:

- هنا على سرير صديقتي.
- إن الله غفور رحيم.
- خيانة مختوم عليه بالشمع الأحمر الرباني.
- حجاية واحدة يغفر لنا ما تقدم وما تأخر.

بدأ في خلع ملابسه همس لها وهو يفتح سوسة الفستان:

- آدم وحوا كانوا عرايا.
- عيب.

اقترب منها .. منتشي .. معبق بالرغبة وهو يخلع عنها الفستان يطيره في فضاء الحجرة الواسع ليستقر في أحد الأركان ناعيا حظه أنه فارق هذا الجسد اللين الناعم .. يد عزوز تمسك بأطراف الكمبلزون الأحمر الدامي .. ترفعه

أعلي رأس نوال .. مستسلمة .. غارقة هي الأخرى داخل حواس رغبتها وهو يجذبه .. يطوح به .. يتطاير هو الأخر بجوار الفستان ينعي أيضاً حظه .. همستها وهي عارية تحاول مداراة صدرها بيدها "يا كسوفي" "يا كسوفي" تأجج رغبته .. وقبل أن تستوي على الفراش أطلقت مزحتها السخيفة:

- بالإصبع أم باللسان.

إنسكب ما تجمع من سيول رغبته .. راحت نشوته تغب في بحر البلاهة وسؤال عويص يتناوب عليه لماذا وقد عبر بحر العجز ولم يكن باقياً سوي أن تلج قدماه الشط ؟! .. الدم الذي كان يفور تجمد في عروقه .. النار المتأججة انطفأت .. سكنت الأمواج المتلاطمة .. تحولت إلي ماء آسن حتى النبض أصبح عسيراً عليه.. انقلبت نفسه ضد نفسه .. مهانة إذلال .. بالقطع هي تعرف المدي في علاقته بسهي وربما كانت متواطئة معها .. لقد داست على قلبه بحذائها ولم تكتفي بذلك بل مزقته .. حولته إلي نتف صغيرة بكلماتها الحادة " بالإصبع أم باللسان " اللعنة عليها وعلى زوجته وكل نساء العالم .. نوال مدهوشة وعزوز يصرخ قاذفاً بأشيائها:

- بره .. بره .. مومس .. مومس!!

ارتجفت .. احتواها رعب قاتل .. لم يكن عــزوز أبــداً هكذا .. لقد انقلب إلي وحش ضاري .. إلي كتلــة غضــب جامح .. لم تفهم سبباً لكل هذه الثورة .. فقد كانت تمزح معه .. لكنها لم تكن تعرف أنها نكأت الجرح القديم فسيلت دمائه .. لغوصت فيه بأظافرها فلوثته .. لملمت نوال ثيابها وقبــل أن تغادر حجرة النوم صرخت:

- مخنث.. مخنث.

بعد هذا اليوم لم يفكر في خيانــة ســهي إلا أن همســة صديقه " مروان " " بنت خام من الفلاحــين ممكــن تعمــل معاك شغل كثير .. إسأل مجرب ولا تسأل طبيب" كانت مثل " بخة " الثعبان .. أصابته في الصــميم .. تمكنــت منــه .. سيطرت عليه .. لم يفكر كثيراً في جــدوى هــذه الوصــفة السحرية .. في أول زيارة له للعزبة أرسل في طلب الشيخ " سنطاوى" خولي الأرض .. أتي مهرولاً يلبي نداء سيده وقلبه يرتجف فهذه هي المرة الأولي التي يطلبه فيها عزوز فــور وصوله رغم أنه استعد تماماً لهذا اليــوم .. قــام بتضــبيط حساباته .. حساب لا يخر المايه رغم أنها في حقيقتها أرقــام

مزورة .. هو لا يستطيع أن يلعب في الإيرادات لكن ملعبه المصروفات يستطيع أن يزوّر فيها كيفما شاء .. من سماد وسقي وعزق وبذور وحرث وتنقيه حشائش وتقليم .. حمل دفاتره .. أسرع إليه لكن فوجئ بعزوز ينحيها جانباً .. سأله سؤالاً محدداً:

- بنت خام لم تمسس الريح وركها.

سنطاوى في دهشة .. بنت خام .. كلام مفهوم لكن ما دخل وركها في العمل لديه تناولته الهواجس سرعان ما أفرزها في سؤال مازح:

- أي ورك الشمال أم اليمين؟!

- الاثنين يا سنطاوى!!

الرجل لا يهزل .. يتحدث بجديه عن فتاة لم تمسس الريح وركها .. لم يكن أمام سنطاوى حتى يبعد هواجسه سوي طرح سؤاله:

- لكن ما دخل الورك في شغل البيت؟

رد عليه عزوز في حدة:

- هو أنا تلسنت عن شغل بيت .. أريدها زوجة.

زوجة؟!اسقط في يد سنطاوي..لم يستطيع أنـــه يخفـــي دهشته بل فزعه وهو يسأله:

- وسهي هانم؟!

اشتم سنطاوى رائحة شياط عزوز وهو يصرخ:

- دخلك إنت إيه بسهي هانم؟!
- أصل أنا اتفاجئت.
- ألاقي طلبي؟!
- أدور.
- قدامك أربعة وعشرين ساعة.

أثناء مغادرة سنطاوى باب الفـــيلا ســـمعه " ســـمعان " الخفير الخصوصي وهو يردد:

- الريح لم تمسس وركها .. محتاجـــة ميكروفـــون الجامع.

أعلن الشيخ سنطاوى الخبر في الميكروفون " عزوز بك طالب القرب من فتاة لم تمسس الريح وركها .. بعـــد هـــذا الإعلان المدوي تقاطر الناس على فيلا عزوز بك كل واحـــد ساحب بنته أو أخته في نفس الوقت الذي كان عـــزوز بـــك يوبخ سنطاوى في قسوة:

- ميكروفون الجامع .. غبي .. غبي ..

سنطاوى يحاول تهدئته قائلاً:

- لن تخسر شيئاً يـــا باشـــا..قـــدامك بـــدل البنـــت عشرة..تختار منهم ما تشاء.

- فضيحة برجلين .. بكرة توصل مصر.

- يا باشا الجواز عمره ما كان فضيحة .. لكن الناس متخوفة.

سكت سنطاوى.. أثارت كلماته حب استطلاع عزوز .. انتظر قليلاً حتى يكمل عبارته ربما يحـــاول انتقـــاء الكلمـــة المناسبة .. وربما في حرج .. لم يصبر .. سأله مستريباً:

- متخوفة مني؟!

- لا يا باشا هو معقول تتخوف من جنابك .. لكن.

- ماتلكنش .. اتكلم بصراحة.

- الناس خايفة تكشف على كل ورك حتى تعرف إذا كان مطابق للمواصفات.

- مواصفات إيه يا راجل يا طيب؟!

- إنت قلت بعظمة لسانك ورك لم تمسسه الريح.

- والله العظيم إنت رجل خرفان.

- إذا كان الحال كما قلت عليّ أن اطمأن الناس حتى يبدأ العرض.

وبدأ العرض .. مثل عروض الأزياء .. عزوز يستعرض الفتيات الواحدة تلو الأخرى ليس بعينيه بل بغريزته .. أطلقها من عقالها لتتخير له الأنثى التي سيضمه وإياها الفراش .. وفي النهاية وقع اختياره على ثلاثة .. أشار إلي سنطاوى قائلاً:

- أدخلهم القصر.

تجالس مع الثلاثة .. تحدث إليهن .. همس في أذن سنطاوي:

- هات المأذون.

أسقط في يد سنطاوى.. سأله مدهوشاً:

- الثلاثة مرة واحدة؟!

- قوم فز.

أتي المأذون على عجل وقبل أن يهم بفتح الدفتر .. سأل عزوز سنطاوى:

- ما رأيك في حمزية.

- سبحان الخالق فيما خلق .. حلاوة وشقاوة .. لم تمسس الريح وركها.

- إخرس قطع لسانك.
- سألتني وأجبتك.
- خطيتني وتغازلها.

في هدوء تم عقد القران وتحدد اليوم التالي للدخلة.

٦- في حجرة النوم المتباعدة الأركان وعلى الفراش المخملي جلست حمزية .. لم يتعدى عمرها السادسة عشر .. مدهنة .. خصرها رقيق .. صدرها كثيف .. ملامحها معبأة بالحرمان .. بالاشتهاء .. فور أن دخل عزوز الحجرة نهضت .. طأطأت من رأسها للأسفل .. خطا عزوز نحوها .. اقترب منها .. لامست أطراف أنامله ذقنها .. ارتفعت بها لأعلى .. حمزية خافضة عينيها.. عزوز يهمس:

- بصي لي.

عيناها المكتحلة تزور وجهه ترتجف كأنها تمارس معه الجنس .. تخفض رموش عينيها من جديد يسألها برقة ونعومة:

- مكسوفة.
- لا.

إقترب منها .. لاصقها .. حاول تقبيلهـــا .. ابتعـــدت .. سألها في دهشة:

- تبعدي عن زوجك!
- أصل أنا خايفه.
- منـي؟!
- لا .. من الحمار.
- حمار .. أي حمار.
- حمارنا من يوم ما نط على حمارة خالتي مســـعدة وانا خايفة.

ضحك عزوز .. إنها تشـــبهه بالحمـــار .. رد عليهـــا ساخراً:

- الحمار أمر ثاني .. مختلف .. حتى شوفي.

بدأ في خلع ملابسه .. شهقت فور رؤيته عارياً:

- يا كسوفي.

التقط زجاجة برفان .. سألته في شغف وهو ينثـــر رذاذ البرفان على وجهها:

- ريحه سيدي المتولي .. يا حلاوة.

سايرها قائلاً:

- ولازم ولا بد حتى تحل عليك بركة سيدي المتولي إنك تدهني جسدك بها إخلعي.

- حرام!!

- حرمت عليك عيشتك أنا زوجك.

عليه أن يطرق الحديد وهو ساخن .. يتمنعن وهن الراغبات .. أمسك عزوز بطرف قميص نومها وهي تقاومه مقاومة المستسلم رفعه .. أمامه جسد بض متوحش قاسي ناعم لم يمسسه إنس ولا جان .. انخلع القميص .. أسرعت تغطي جسدها بملاءة..جذبها .. قذف بها .. إنغمس بجسده العاري داخلها وهي تصرخ:

- الحمار .. الحمار!!

دمه يفور .. جسده يتوتر .. للحظات وحمزية مستسلمة له يطويها داخل جسده.. يقبلها .. يعصرها .. عجينه طرية يشكلها كما يريد .. كيفما يشاء .. لهثت كان يسمع لهثها ضجيج كلمات عاودته مثل وباء .. مثل مرض مزمن سمعها من سهي " يا خيبتك .. يا خيبتك " من نوال " بالصابع أم اللسان " من سكرتيرته وفيه " لما انت متنيل ساحب ليه وراك ولاد الناس " حتى صديقته نانسي الفرنسية " إنت

تتعالج عند دكتور " صوت الضجيج يعلو ويعلو على كل شئ .. أغرق لحظته مع حمزية .. حل عليه سكون الأمــوات .. همد فيه كل شئ.. هربت منه نفسه تبعثرت طاقاته .. يحاول العثور عليها وهو يداعب جسد مســتكين مستســلم لنزواتــه المتعثرة .. طال الوقت .. همسة حمزية صاخبة:

- فرهدتني.

دون فائدة .. دون جدوى .. لا طائل من هذا العبــث .. قد ركب ظهر شيطان رغبتهــا وأخــذ يــنخس ويــنخس .. الشيطان يريد الذبح لا النخس .. لقد قاربت شهوتها الــذروة وهو لاه عنها بالقبلات والعض ولمسات خبير علــى جســد منتشي لكن إلي متي .. هو لا يعرف لكنه مازال يحاول .. مازال يبحث عن نفسه التائهة الضالة وحمزية مــن جديــد تواجهه بهمستها الصاخبة:

- وآخرتها .. بعثرتنى!!

هي تسترحمه الانقاذ أن يخترقها يجوس ويدوس جسدها لقد قارب الزبد الشدقين.. غضب جامح يســيطر عليهــا .. حيوانها يتمرد عليها .. يريد الانتشاء أن ينال لذة يستحقها .. لكن الأماني شئ والواقع مختلف تماماً .. فقد عجز عــزوز

ولم تكن هذه هي محاولته الأخيرة.. أسبوع كامل وهو يحاول لكنه فشل.

رحلت حمزية مع متاعها من القصـــر .. صـــرة هـــدومها ومؤخر الصداق إلي بيت أبيها دامعة وهي تعلن بلا خجل أو كسوف .. إنها مازالت عذراء.

كل هذه الصفحات استرجعها عزوز وسهي تجلس قُبالته هي الأخرى تفكر في أمر خطير بات يضغط ويضغط عليها .. تعجز عن مقاومته وهو يلح عليها .. مصارحة عزوز .. تريد أن تفصح له عن علاقتها بالسمنودي .. متوترة وهـــي تفكر في ذلك لكنها اليوم أسيرة مصارحته .. ربما لسعة ندم .. ربما لأنها ما زالت تحبه إنها تتعذب وهي تخونـــه مـــع السمنودي لكنها أضعف من أن تهجر عشيقها .. رغبة جارفة تمتلكها في الاعتراف لعزوز وهي تسأل نفسها وماذا بعـــد؟! ماذا بعد هذه لا تعرف إجابتها .. لكن كـــل مـــا يؤرقهـــا أن ترمي بثقل هائل تحمله من سنين .. ذنب يعذبها وما يحـــدث يحدث .. جمعت فلول شجاعتها في عبارة قصيرة:

- إنني أخونك يا عزوز.

لم يهتز .. لم تتحرك شعرة من رأسه .. لم يصدم .. ساكناً للحظات سكنت نظراته على شفتيها .. نظرات بلهاء غاضبة منكسرة وهي تستطرد قائلة:

- ألم تسمعني .. إنني أخونك.

رد عليها في هدوء:

- سمعتك لكنني أفكر.
- في كلامي؟

رد عليها في حزن طاغ:

- قبل أن أحدد رد فعلي تجاه خيانتك أجيبي عن سؤال لي بنفس صراحتك.
- لن أخذلك.
- هل اعترافك هذا ندم أم إصرار على الاستمرار؟
- إنني لم أعشق في حياتي سوي واحداً نقشت صورته داخلي وسري عشقه في دمي .. استكنت لجسده وكان ملهم حبي.
- وهذا الرجل المجهول؟
- مجرد نزوة.

سألها في مرارة:

- أول مرة؟
- بل مرات عديدة .. في كـل مـرة كنـت أريـد الاعتراف والتطهر.
- ولماذا هذه المرة؟
- لأنني قررت قطع علاقتي به.
- كنت تستطيعي ذلك دون أن تعترفي بخيانتك.
- حملت جبلاً على عاتقي زمناً طويلاً وألقيته بعـد اعترافي.
- وبعد ؟!
- بعد هذه تحددها أنت.
- كيف؟
- تستطيع مساعدتي في التخلص من إلحاحه.
- يضايقك؟
- بل كان يبتزني وهو يهددني بـك كلمـا حاولـت الابتعاد عنه.

مرت فترة صمت قصيرة جنحت فيها سفينتهما بعيداً عن المرفأ وعزوز يهمهم لها في حزن دفين:

- وأنا الأخر أريد الاعتراف لك.

- أعرف .. صديقتي نوال.
- غريبة .. كنت تعرفين إذن.
- بل أنا الذي رتبت كل شئ.
- أنت يا سهي؟!
- أنا على استعداد لدفع حياتي ثمناً لإسعادك.
- لهذه الدرجة.
- وأكثر فأنا أحبك يا عزوز لدرجة الوله.
- بقي سر أخير.
- خيانة أخري.
- بل زوجة أخري.
- ماذا قلت؟!

قالتها والغضب يعصف بها.

- تزوجت بنت فلاحة وطلقتها بعد أسبوع.

سكت عاد مستطرداً في يأس طاغي:

- فشلت معها فشلاً ذريعاً.
- خسيس.

٧- فوجئ السمنودي بعزوز يطرق الباب .. يقتحم المرســم .. عزوز في مواجهته.. مدهوش بهذه الاقتحامة المفاجئة

.. رجل لا يعرفه ولم يره قبل هذه اللحظة .. غاضب لهذا التصرف الأهوج .. صاغ غضبه في عبارة لاهثه:

- فاكرها وكالة عن غير بواب!!

عزوز يرد عليه بلا اكتراث:

- أمام القدر تفتح كل الأبواب.

تقدم عزوز بخطي واثقة داخل المرسم .. حطت عيناه على صورة زوجته عارية توقف يتأملها بإعجاب وضيق .. تمتم:

- جميلة.
- ليست للبيع.
- ربما لا تستطيع مقاومة إغراء المدفوع.
- حتى لو ألف جنيه.
- سأدفع لك ضعف هذا المبلغ.

رضا السمنودي في دهشة لهذا المتطفل الذي حط فجأة على مرسمه ويعرض ألف جنيه ثمناً لصورة .. سأله في ريبة:

- من أنت وماذا تريد؟!

- سأدفع لك ثلاثة أضعاف بل أربعة من أجل الصورة وصاحبتها.

- حتى الآن لا أفهم.

أخرج عزوز من جيبه رزمة أوراق مالية .. قذف بها على سطح منضده قال في تحدي واضح:

- حتى تبتعد عنها.

ابتسم السمنودي ابتسامة مخفوقة بالضيق همهم بعدها:

- آه فهمت.

- حسناً أنك فهمت وجنبتني ونفسك الكثير من المشاكل.

- ليس قبل أن ترد على سؤالي ما شأنك بها؟!

- دون طرح أسئلة .. إياك والاقتراب منها.

- أنا لا يعنيني تهديدك في شئ.

في يد عزوز مظروف لوح به للسمنودي .. دمدم:

- أقرأ ما بداخله ربما بعدها تغير لهجتك.

القم يده المظروف .. بدأ السمنودي يطالعه .. تلون وجهه بألوان الطيف السبعة وهو يقلب الأوراق صفحة .. صفحة .. حكم بالسجن ثلاث سنوات للنصب والاحتيال..

وسنة للاستيلاء على شقة واقتحامها .. وثالث للتبديد .. واستدعاء من النيابة في قضية هتك عرض .. بعد أن طالع السمنودي أوراق الملف .. أعاده لعزوز قائلاً بلا اكتراث:

- أحكام غيابية سقطت بمضي المدة.

رد عليه عزوز في ثقة لا تخلو من تهديد:

- لا تركب رأسك فسجلك حافل.
- أنا دماغي مركوب بالعناد.
- لا تتعجل .. في القريب العاجل سيتحول إلى مركوب للقدم.

قبل أن يخطو عزوز خارج الشقة سأله السمنودي في إصرار:

- من أنت؟!

التفت إليه عزوز .. الالتفافه مروعة .. أجابه:

- ستعرف في الوقت الملائم.

٨- سهي في الفيلا وحيدة بلا أنيس .. ملولة .. محبطة .. تحاول إشغال نفسها بالإشراف على منظومة العمل الروتيني " سما " الشغالة و " برقوق " الطباخ وهما منهمكان في العمل داخل الفيلا كل حسب اختصاصه

عادت بعدها إلي دائرة الملل التعيسة حاولت الخروج منها بسماع الراديو ورؤية التليفزيون وقراءه الصحف .. بلا جدوى فقد أطبقت عليها .. لقد استيقظت في الصباح الباكر على صوت عزوز يسألها:

- تحبي تسافري معاي العزبة.

ردت عليه في تكاسل:

- سافر إنت يا عزوز.

بعد هذه الاستيقاظة حاولت النوم .. خاصمها .. عاندها .. قررت الخروج من حالة الملل هذه بالتمشية في شوارع القاهرة .. وفي شارع فؤاد وهي تتأمل الفترينات .. ليس في مخططها اقتناء ملابس أو إكسسوارات لا شئ يشد انتباهها.. أمام إحدى الفترينات توقفت .. محتويات الفترينة مدهشة .. ملابس داخلية إيطالية .. سمعت صوتاً خلفها:

- عاجبك .. اشتريها لك؟

التفتت .. رأته خلفها .. السمنودي كما هو لم يتغير بابتسامة النفاق التي تعلو شفتيه .. فور رؤيته وهو يثقبها بعينيه يعريها تخاذلت .. قاومته .. رمقته بلا اكتراث أبعدت عينيها عن عينيه .. وهي تغرق الفترينة بنظراتها .. اقترب

منها السمنودي أكثر وأكثر .. كاد أن يلامسها .. همس في أذنها بشغف:

- وحشتيني!!

الهمسة لها رنين .. ضجيج .. تستأنس فرس أحاسيسها البري الجامح المتمرد على الفارس .. انهالت عليها الذكريات .. لحظة قصيرة لكنها تحدد مصائر .. لقد مرت عليها تلك اللحظة تذكرتها وهي بين أحضانه عارية .. يقسو عليها يعلو بها هضاب يهبط إلي وديان .. تجمعهما الرغبة في المخاطرة في الانتشاء وهو يحوطها بذراعيه يفرغ داخلها شحنة شغفه .. يصل بها إلي الحدود القصوى اللانهائية .. فتحوّم حولها الذنوب في صورة ملائكية نورانية .. تقصر وتطول وتصدح بكل الألحان .. مرت عليها تلك اللحظة والسمنودي يضم بقبضته أناملها.. تذوب مثل قطعة شيكولاته يستحلبها اللعاب .. سهي مأخوذة مسيّرة وهي تستقل تاكسياً بجوار السمنودي إلي مرسمه .. على فراشه عارية.

٩- عادت وأثم الخيانة يؤرقها .. لم تنم ليلتها .. لم تستطع أن تواجه عزوز بالحقيقة وهو يسألها .. أجابته كالمعتاد " شوبنج " .. تحاسب نفسها في مرارة.. كيف استسلمت

للسمنودي بهذا الاستسهال وتلك الصورة المهينة لمجرد لقائه بها.. تلوم نفسها على لحظاتها معه رغم أنها انتشت وخرجت من مللها .

أيام على هذا الحال .. في البيت لا تغادره .. صامتة .. تكورت على نفسها .. كرة تتقاذفها الأرجل دون أن تعـرف لها مستقراً أو هدفاً .. الأرجل خفية غير مرئية مجهولة لديها .. كلما حاولت التعـرف عليهـا تـوارت إلـى أن زارت "حندوسه" طبيب العيلة بعد أن أحست بوعكة .. دوار وقيء .. إنه يعرف هواجسها .. هي تهول من أي وعكة تلم بها .. السعال التهاب رئوي .. المغص تسمم .. الدوخة سرطان .. في كل مرة كانت تزوره تشكي علة كان يكتب لهـا علـى الأورشتة " صحتك بمب " هذه المرة رأت الأيـدي الخفيـة تتلاعب بها وحندوسه يتلكأ في التصريح بعلتها .. لم يكتـب الأورشتة المعتادة ساورتها الظنون وهي تري ابتسامة بلهاء معلقة على شفتيه مثل ملبوس قذر على شماعة في كل مـرة كانت تسأل نفسها لماذا هما غليظتان .. هذه المرة انشـغلت عن السؤال وهي تري بعينيها حندوسه يكتب الأورشتة بكلام لا معتاد .. قطعت الصمت متسائلة:

- إنت بتهبب إيه ؟

رد عليها في سعادة:

- باكتب التعليمات!!

سكت عاد مستطرداً:

- وعليك بتنفيذها حرفياً.

في دهشة سوقية سألته:

- تعليمات إيه .. هو أنت مخك فوّت؟!

- طبعا فوّت من الفرحة.

إنه فعلاً يعبر عن حقيقة مشاعره نحوها .. فهو غارق في حبها .. لكنه لا يستطيع الإفصاح عنه فعزوز صديقه الصدوق .. نهض حندوسه .. مد يده بالأورشتة همهم قائلاً :

- مبروك .. جايلك ولد.

تلاشت أعضائها .. تقوقعت داخل كلمات حندوسه .. حاولت الخروج منها إلى عالم أرحب لم تستطع .. دمية فقدت حتى الخيوط التي تربطها باللاعب انفصلت تماماً عنه وفي الوقت الذي بدأت فيه جمع شتات نفسها لم تنطق سوي بكلمة واحدة .. سورتها الدهشة :

- حامل ؟!

تريد أن تسمع نفياً قاطعا لما قاله حندوسه منذ لحظات .. انتابتها أحاسيس شتي ما بين الإحباط .. والتألق بالدهشة إلى مجهول غامض فقير بالإجابات وهو يستطرد قائلاً :

- وبعد شهرين نقدر نحدد بالسونار نوع المولود .

هذه العبارة كانت بمثابة شوكة غرزها حندوسه في قلب شكوكها والدم النازف منه شاهد على ذلك في محكمة يقينها .. فالمولود الذي تحمله يخصها ينتمي إليها وحندوسه لم يكن سوي ممثل الادعاء الذي أطلق اتهامه ضدها .. وفي اللحظة التي أصدرت محكمة يقينها الحكم القاطع واستطاعت لململة أجزائها المبعثرة بدأت الأسئلة تدق بمطارقها .. حامل من مين ؟! زوجها الذي لم يقتحمها منذ سنين .. لا أحد سوي رضا السمنودى .. داهمتها الهواجس.. صرخت فزعة :

- أجهضني.

رد عليها حندوسه في دهشة مزجتها الفجاءة :

- أجهضك؟!

عاد بعدها مستطرداً:

- واجهض أمنية عزوز .. يبقوا جريمتين !!

- أصل الحكاية ؟!

سكتت .. كادت أن تدلي باعترافها .. الجنين لا يخص عزوز وأن والد الطفل رسام صعلوك .. نصاب .. مسجل خطر .. فضيحة وأي فضيحة أن تهتك ستر حياة عزوز وأن تنتهك سيرته .. رجل عاجز فقد قدرته على إتيان إمرأته .. صمتت لكن ما زالت هواجسها تدق بعنف باب المشكلة .. أن آجلا أو عاجلاً سينفتح الباب على نار جهنم .. لن يستطيع أحد أن يبقيه موصداً .. عندئذ سيحترق كل شيء هي وعزوز والبيت .. فلن يقبل ابناً ليس من صلبة ولن يغفر لها خيانتة بعد اعترافها الأخير .. حتى ولو حدث وارتضي عزوز هذا الطفل ابناً كيف ستمضي بهما الحياة .. عبث وأي عبث أن تحتفظ بالطفل وأن تفكر في مجرد الاحتفاظ به .. لقد صدمها حندوسه باكسدام سيارة نصف نقل .. غابت على اثر الصدمة عن الوعي .. وهي الآن في طريقها للاستفاقة والتناقضات تحاصرها في قسوة .. تحاول فك لغزها .. فتعجز وهي عندما تعجز تثور .. تحطم فازة .. تتشابك بالأيدي .. تصفع خادمة لكنها الآن مسكونة بالعجز لا تستطيع أن تفعل شيئاً .. لا تقدر وهي تنطوي داخل نفسها .. الصراع داخلها أقوى من كل ردود الأفعال فقد كانت تتمنى

أن ترزق بمولود مثل كل امرأة .. ولمـــا حـــدث تراجعـــت عشرات الخطوات وربما المئـــات إلـــى الخلـــف .. تعلـــن بتراجعها عصيانها للقدر .. تمردهـــا علـــى تلـــك اللوحـــة السريالية بألوانها الحادة النارية المتناقضة وقد عجزت عـــن فهمها أو تفسيرها رغم أنها كانت راضية عن مضـــامينها .. طفل تنجبه من صلب عزوز وليس من نطفة السمنودي .. لا شيء كامل .. فقد كفن أملها غطاء تحاول تمزيقه بأظافرهـــا بأسنانها بلا جدوى فنسيج الكفن مستعصى على محاولاتهـــا اليائسة .

في طريقها إلى البيت أقلعت بخيالها إلى حديقـــة غنـــاء يلعب فيها طفلها على أرجوحة ويد المربيـــة تدفعـــه أمامـــاً وخلفاً وهو يضحك ضحكاته البريئة .. فجأة تتوارى الصورة خلف ضبابة غضب على هذا القدر وهو يرسم لوحته القاسية الخطوط الحادة الألوان .. تتعاقب عليهـــا الأحاســـيس مـــن الفرحة إلى الحزن من الســـعادة إلـــى العـــذاب .. المشـــكلة عويصة لو باحت بها لعزوز .. سيطلقها بالثلاث.. أبداً لـــن يغفر لها مثل أول مرة بل ربما رفع عليها دعوى زني ودليله ثابت .. وحجته دامغة .. إنها تحبه .. لا تريد فراقه .. فـــي

نفس الوقت تلهث بالحنين لطفلها .. ستعترف له وما يحـــدث يحدث .. خفتت نبرة الصراع داخلها وقد باتت علـــى عتبـــة قرار وهي تعبر بوابة الفيلا .. عزوز يســـتقبلها كعادتـــه .. وجه بشوش بسمة تتخايل على شفتيه .. لكـــن هـــذه المـــرة احتضنها .. قبلها .. تمتم في صوت كالهديل تحـــف نبراتـــه فرحة طفولية عذراء:

- مبروك يا سهي.

لا تفهم .. رغم أنها تريد .. مقصده تائه عن نبع فكرها .. فأي مبروك وعلى أي شيء يبارك .. لكنها واجهته بمـــا يعتمل داخلها:

- مبروك على الخيبة.

ظنت في البداية أن حديثه منصباً على العشرة أفدنه التي كان يساوم في شرائها لها .. لكنها أقلعت عن ميناء هذا الظن وعزوز يرد عليها في سعادة:

- أول ما سمعت الخبر وأنا طاير من الفرحة.
- إنت محموم ياعزوز!!
- اليوم علامة في تاريخنا.
- تقصد علامة مرور!!

قالتها متهكمة.

ربت عليها .. همهم في حنان دافق:

- حندوسه كلمني وبارك لي.

صدمها عزوز .. الصدمة قوية اغتالتها خواطر قاتلة .. ماذا يظن هذا الرجل أن الجنين يخصه ؟! كيف وهو أدري بالحقيقة .. سادر في غيه وهو يستطرد قائلاً:

- سأربيه تربية أمراء وسأعمل لتأمين مستقبله.

سهي تحاول جاهدة إعادته إلي طريق الحقيقة .. همهمت:

- ساعدني على الإجهاض.

انفطر قلبه .. أسقط في يده .. رد في غضب جامح:

- أي إجهاض تتحديثن عنه.

- لا تتغابى يا عزوز.

قالتها سهي في حدة.

- أبداً كل ما في الأمر أنني مندهش لطلبك.

- هل تعرف ابن من هذا؟!

- أعرف .. طالما هو في رحمك فهو ابنك.

في ثورة عارمة داخلية لم تتجاوز عواصـــفها مكنونهـــا محبوسة لكنها تعصف بها.. تقدم عزوز نحوها ربت عليهـــا ضمها بذراعيه .. أراحت رأسها على كتفه.. أصابعه تتخلل خصيلات شعرها .. سهي تبكي .. تهمس:

- إنني أحترق.

سكتت عادت مستطردة وهو يمسح دمعتين تطفلتا علـــى وجنتيها.

- أحبك يا عزوز .. كم أنا في حاجة إليك.

قال لها في مودة وحنان:

- كنت ترغبين تبني طفل وهو الآن في بطنك.
- تمنيته منك أنت.
- ومن أدراك ؟!
- كلام لا يعقله مجنون.
- قلتيها مجنون فما بالك لو كان عاقلاً مثلي.
- أفصح عن مقصدك يا عز.
- إنه إبني يا سهي.
- كلام سخيف لا أصل له ولا فصل.
- أو ليس الإبن للفراش.

- أكيد جننت يا عزوز.
- أمنيتي أن يكون لك ابن يحمل أسمي.
- أمنية سفاح.
- سفاح يطهره الرضا يصبح مشروعاً.

١٠- تأكد السمنودي من حملها بعد أن رآها ترتدي فستان فضفاض .. في يده الآن دجاجة تبيض ذهباً .. هو يعلم بأمر زوجها لم يقربها منذ سنوات .. الجنين يخصه .. قرر الوصول للحقيقة .. حاول الاتصال بها .. امتنعت عليه .. كرر المحاولة دون جدوى .. تقدم خطوة أخري .. قادته قدماه إلي الفيلا .. حاول الدخول .. منعه البواب .. أمام الباب بدأ يصرخ طالباً إبنه .. " إبني يا لصوص إبني يا محتالين يا نصابين " أمام الضوضاء غالباً ما تنفتح الأبواب الموصدة وهو ما حدث .. عزوز في انتظاره داخل هول الفيلا .. عينا السمنودي تزحف ببطء فوق الأثاث المخملي .. أنتيكات وثريات وسجاجيد لم يرها في حياته وحتى بعد مماته .. بعد تأملاته السريعة صافحت أذناه كلمات عزوز الودودة:

- أقعد يا سمنودي.

رد السمنودي في زهو المنتصر وهو يتخير لجلسته فوتيل مريح:

- يا ريت مع القعدة فنجان قهوة تركي مضبوط.
- خير يا سمنودي؟

وقف السمنودي .. جال المكان بعينين حاسدتين .. لمس أحد التماثيل السخية هو يعشق الفن .. رسام مغمور يرسم على الرصيف في الأعياد والمناسبات صور بورتريه مقابل خمسة جنيهات للصورة الواحدة .. في بعض الأحيان يعرض لوحاته في جاليري " سيمون " منذ سنوات لم يبع لوحة واحدة .. في البداية أهمل الرد على سؤال عزوز إلا أنه أمام تكرار سؤال أجابه قائلاً:

- خير بالقوى يا عزوز بك.

سكت .. عاد إلي مقعده .. استطرد قائلاً:

- لكن هذا الخير لن أخوض فيه إلا بحضور الملكة.
- سهي لا ترغب لقائك وأنا هنا بدلاً عنها لأسمعك.
- يا عزوز بك الأمر لا يخصك ولست طرفاً فيه..تراقب ممكن..تتدخل لا.
- نسيت إنها زوجتي.

- كونها زوجتك لا يعطيك الحق في مناقشة موضوع يخصنا سوياً .. بصلة وقشرتها الداخل ما ينوبه غير صنتها.

- الخلاصة يا سمنودي وإلا طردتك شر طردة.

قالها عزوز في ضيق.

- لن اتكلم إلا في وجودها.

في تلك اللحظة اقتحمت سهي جلستهما .. كانت تتنصت من خلف الباب الموارب.. زابعة تهب على المكان تثير معها رمال الغضب .. فور رؤيتها نهض السمنودي .. مد يده ليصافحها .. نظرت إليه في احتقار .. تخاذلت يده وهي تسأله في حدة:

- تقايئ وخلصني.

هجوم مفاجئ لم يستعد له .. للحظات قصيرة تخلخلت إرادته تحت وقع حدة الكلمات لكن سرعان ما تماسك وهو يلم شتات نفسه .. رد قائلاً:

- لن أطلب منك تسليمي إبني بعد ولادته فكل ما يهمني مصلحته .. لكن.

سكت .. السكتة غير مبررة .. ربما ليتخير الكلمات .. ربما ليرفع درجة الفضول إلي الحالة القصوى .. أربعة

عيون ترصد حركة شفتيه والغموض يلف المكان بأجنحتـــه الداكنة قبل أن يستطرد قائلاً:

- لكن طلبي ينحصر في ضمان سلامته.

سهي تنظر إلي عزوز تستنجد به بعينيها بملامح وجهها الصارمة .. الدهشة تعصرها حول طلبـــات هـــذا الرحيـــل المستعصية على الفهم وعزوز يسأله في حنكة:

- لغز؟

وسهي تآرزه بقولها:

- وعلينا أن نحل الكلمات المتقاطعة.

رد عليها السمنودي:

- يا سهي هانم إبني لازم يكون في أمان.

ضاق عزوز بنظراته وتلميحاته .. رد عليه في هدوء:

- إنني لا أفهمك.

- ربما يكون فهمك على قدك لكن الهانم .. لا أظن.

- ليس العيب في فهمي بل في صبري الذي نفذ.

سكت .. عاد صارخاً وهو يجذب السمنودي:

- قوم .. فز.

نهض السمنودي .. صاح عزوز:

- بره .. بره .. يا قدوره .. يا فجلة .. يا مفتاح.

في لحظة كان الثلاثة يهرولون داخل الصالة وعـزوز يصرخ:

- اقذفوا بهذه القمامة في الشارع.

تحفز الثلاثة والسمنودي يرد في وقاحة:

سيكلفك هذا كثيراً يا عزوز بك سأفضحك سأطالب بإبني على صفحات الصحف .. سأوزع نشرة بكل مـا حـدث .. سألطخ إسمك بالقاذورات وسيعرف الجميع أنـك عنـين لا تستطيع إنجاب سحلية.

وقبل أن يدفع الخدم السمنودي خارج باب الفيلا همهمت سهي:

- اتركوه.

إنفك عنه حصار الأيادي .. أعاد السـمنودي ترتيـب " هندامه " همهم في ثقة:

- عين العقل يا سهي هانم.

- صدقت .. عين العقل.

أخرجت من طيات ملابسها مسدسـاً .. صـوبته إلـي السمنودي .. انتاب الجميع الفزع .. هاجس لحظة مـا قبـل

الموت والسمنودي يقفز .. يختبئ خلف مقعد والرصاصات تنطلق وعزوز يندفع نحو سهي .. يحاصرها .. يخطف المسدس.

١١- في المساء زار عزوز صديقه "رضوان" المحامي في مكتبه .. بعد التحيات والسلامات والأحضان واحتساء فنجان القهوة المحوّج .. بدأ عزوز في شرح تفاصيل المشكلة .. لم يخفي عن رضوان كبيرة ولا صغيرة .. أنتابه الانفراجة ورضوان يضحك..يسترسل في ضحكاته.. وبعد أن هدأت قال في تؤده:

- يا عزوز بك السمنودي لا يستطيع أن يمس شعره من رأسك.
- وسهي وابنها ؟؟
- ولا سهي ولا إبنها.
- كلامك مطمأن لكن غير مفهوم.
- أولاً تهديد السمنودي طلقة فشنك.
- فسرت الماء بعد الجهد بالماء.
- لسبب بسيط أن اعترافه ببنوة الطفل سيجر عليه جبل من المشاكل لا طاقة له بها.

- مثل؟
- اعترافه ببنوة الطفل يعني اعترافه بجريمة الزنا وعقوبتها على الأقل سنة.
- وهذا ينطبق أيضاً على سهي.
- سهي لأنها زوجتك لا يجوز تحريك دعوى الزنا ضدها إلا باتهامك.
- والجنين؟!
- الابن للفراش.
- معني كلامك أن كل شئ على ما يرام.
- وفوق على ما يرام .. لا تقلق يا صديقي .. لا تقلق.

١٢- الشهور تمر بطيئة .. الجميع في انتظار تشريف المولود وثمرة البطيخ تنمو وتتضخم .. السعادة تغمرهم والسونار يقطع بأن الجنين ولد .. أكثرهم بهجة وترحيباً بالمولود عزوز .. لقد سيطرت عليه فكرة الأبوة وأن الجنين إبنه.. حرك هذا الاعتقاد الآسن مياه البحيرة .. حجر انقذف فجأة إلي عمق البلادة التي يعيشها .. أحدث دوامة حركت مشاعره وأحاسيسه النائمة .. أيقظتها.. بدأ

يرغب سهي .. يشتهيها .. يريد أن يداعب ابنه .. أن يتعرف عليه قبل أن يولد .. أيقظها وهو يربت على بطنها المكور .. يعريها .. يقبلها .. كل حاسة فيه تنفر .. احتواها في أحضانه اللاهثة معلناً العصيان على حالة اللاجدوى .. دماء جديده تندفع إلي شرايينه لم يألفها .. رغبة عنيفة تكتسحه أن يمتلك الأم والولد في آن واحد وهو يتجاذب معها أطراف الرغبة .. أحست بفتوته وهو يعريها .. لا مصدقة كيف حدث هذا ؟! ينهل منها القبلات .. يدافع عن رجولته وهو يعتلي القمة وهي تصرخ في خلاعة:

- حاسب الولد يصحى.

وحدثت المعجزة .. معجزة أقوي من معجزات الرسل .. لقد اخترقها مثل شاب لم يتجاوز العشرين .. عادت إليه روحه الذاهبة وهو يجري في الشوارع حافياً الساعة الثانية صباحاً بجلبابه الأبيض متصايحاً مهللاً يقذف لكل من يقابله بخمسة جنيهاتٍ .. وادي الفرحة الشاسع لا يسع مشاعره الخضراء .. يهذي بكلمات منداة بالسعادة:

- ابني وأنا أبوه.

ومرت ليالي .. أنغمس فيها عزوز مع سـهي يعـوض وإياها سنوات الحرمان كانت أغلي لحظات وأجلها وأجملهـا .. وراحت السكرة وبقيت الفكرة وسهي على أبواب الوضـع .. ولحظة الميلاد تقترب وحندوسه يعـاود الكشـف عليهـا وكانت المفاجأة .. الجنين مقلوب ولا بد من إجراء جراحة .. التضحية بالجنين أو الأم جلس عزوز تحت قدميها يقبلهما .. يتمتم باكياً:

- وانت تحكمين على نفسك بالموت تصدرين حكمـاً بالإعدام علينا أنا والطفل.

ردت عليه في صوت وهن:

- أنا أم يا عزوز.
- غداً تنجبين من صلبي بدل الواحد عشرة.
- تطلب مني المستحيل.
- ظرف قهري لا يد لنا فيه.
- بل قتل عمد.
- استعطفك فأنا بدونك هباءً منثوراً.
- ما أريده منك أن تعدني برعايته.
- لن أنسي أنه قاتلك ولن أحمل له سوي الكراهية.

- إنه اختياري أنا وقد اخترت له الحياة.

بكي عزوز .. انتخب وهو يردد:

- لو مت فلن أعيش بعدك.

حل الصمت .. راحت سهي في شبه غيبوبة .. نهضت من جلستها .. صرخت:

- هو وليس غيره!!

- السمنودي؟!

قالها عزوز في غضب.

- لا يا عزوز ورقة السمنودي احترقت منذ زمن بعيد .. ما أقصده رجل الصدفة الذي حدثتك عنه.

- هذا المخرف.

- عقبي الملواني الأمل الباقي.

- ماذا بيده .. يقدم لك التعازي!!

- لا أعرف ربما يستطيع مساعدتي.

أسرعت بارتداء ملابسها على عجل .. عزوز في أثرها يهمهم متسائلاً:

- أوصلك.

- لا .. سأستقل تاكسياً.

ساعة زمن وكانت تدق جرس الباب في إصرار .. أسرعت لأفتح الباب .. إقتحمته .. إقتحمتني بكلماتها .. عواء أو نباح:

- ساعدني على اجتياز محنتي.
- ماذا حدث؟
- أحدنا أنا أو ابني مصيره الموت.
- من قال لك هذا الكلام الفارغ؟
- الدكتور حندوسه.
- وماذا بيدي لأفعله؟!
- أخبرتني أنك تستطيع كتابة الأحداث.
- ولم أتوقف منذ هذا اليوم عن الكتابة.
- أنت إذن الذي رسمت لوحة قدري.
- إلي اللحظة التي تعافي فيها زوجك.
- لماذا إذن تريد خطف ابني مني.
- كلام سخيف.
- والأسخف منه أن عزوز يطلب مني أن أتخلص من الجنين.

أسرعت إلي المكتب .. التقطت مسطور ما كتبته .. طلبت منها أن تقرأ الصفحة الأخيرة .. وقفت أمامي مذهولة .. إنحنت إلي قدمي تقبلها تهمهم في ذلة وانكسار:

- أتوسل إليك أن تنقذ ابني.
- أنا لا أفهم ماذا تقصدين.
- لقد خيرني حندوسه بين حياة الجنين وحياتي.
- لم أكتب هذا حتى الآن.

حل الصمت .. راح كلانا في تفكير عميق .. استطردت قائلاً:

- ربما هذه رغبة زوجك.
- رغبة زوجي أن يتخلص مني أو من الجنين !!
- بل من الجنين.

شهقت .. أردفت في صوت مرتجف:

- تقصد أنه تآمر مع حندوسه.
- جميل أنك فهمت.
- كل هذا حتى أوافق على إجهاض الجنين.
- وبذلك يتخلص عزوز من المولود الذي يذكره بخيانتك.

- ولماذا يفعل ذلك؟!
- لأنه يحبك.
- عمل خسيس دنئ.

فجأة احتوانا صمت ممل .. كل منا في وادي .. قطعته سهي بأسلوب سوقي:

- رغم كل ما قلته فأنا لا أصدقك.
- تحدثنا كثيراً فأي موضوع لا تصدقين؟
- لا أصدق حكاية كتابتك لأحداث حياتي فأنا لا أتصور أنه بمجرد أن تخط بقلمك ترسم قدري.
- إنتِ حرة في تصديقي أو تكذيبي لكن هذا لا يغير من الحقيقة.
- أية حقيقة.
- أن ابنك ليس في خطر وأن عزوز تآمر مع حندوسه لإجهاضك.

١٣- سهي في مستشفي " الدالي " يد أمينة ترعاها " شاكر " د. شاكر ومعه كوكبة من فرسان الطب يسهرون للعناية بها .. أزفت لحظة الولادة .. الجميع يبذلون جهوداً خارقة لإنقاذها .. الولادة متعسرة .. الحوض

ضيق لكن إرادة سهي الحديدية ورغبتها القوية في الحياة خلخلت تلك الصعوبات سهلت كثيراً من مهمة " شاكر " ويده السحرية تلتقط الجنين من المغارة الآدمية .. في تلك اللحظة وسهي تراه معلقاً في قبضة شاكر ويده تربت على ظهره وصرخة الحياة تنطلق من حنجرته .. في هذه اللحظة فقط آمنت بالقلم الذي يكتب أحداث قصتها..

١٤- استيقظت سهي .. سألت عن طفلها .. تخاف أن يناله عزوز بسوء .. أسرعت الممرضة لحضانة المواليد .. أتت به إليها .. حملته سهي في حنان دافق قبلته كشفت عن صدرها ألقمته حلمة ثديها بدأ يمص بنهم .. جائع .. عزوز يقتحم الحجرة فرح .. فور رؤيته الطفل انقبض .. تغيرت ملامح وجهه ضبابة تكسيها خرجت الكلمات من فمه تائهة .. تتلوي:

- حمد الله على سلامتك.

المولود تحضنه يديها .. أبعدته عن ثديها رفعته إلى أعلي تمتمت في سعادة:

- جميل .. جميل .. نسميه جميل يا عزوز.

لم يطلق صبراً .. خرج من الحجرة لا يلوي على شيء .. ابنه وليس ابنه .. ابنه وفي نفس الوقت ابن السمنودي..

عزوز يعيش في دوامة .. لقد بدأ يكره جميل لا يطيق رؤيته فهو يذكره بخطيئة أمه مع السمنودي .. استشعرت سهي حزن عزوز وبعده عنها وعن ابنها .. حاولت أن تقرب بين الأطراف الثلاثة .. لا جدوى فدماغ عزوز أنشف من حجر الصوان إنه يرفضه .. حادثها في الأمر .. أبوه السمنودي ولي أمره أحق به يعيش تحت كنفه ورعايته أما هو فلن يبخل عليه بمال أو جهد .. رفضت سهي.. وحتى بعد أن وضعها عزوز في محك الاختيار بينه وبين طفلها تمسكت ببقاء الطفل في حضانتها.

يوم الطهور شهدت المهندسين حفلاً لم تشهده منذ سنوات .. حضره كبار الشخصيات بدءاً من رئيس الوزراء وانتهاء برئيس مجلس الشعب والشوري .. امتد الحفل زمنياً حتى بعد صياح الديك ومكانياً شغل الحفل الفيلا والحديقة حيث أقيمت موائد للرجال الفخام تحمل أشهي الأطعمة .. لحوم وقواقع البحر واستكوزا وجمبري وديوك رومي وضفادع وجراد .. ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة .. بدأت

مراسم الاحتفال الأسطوري على أنغام الموسيقي وعربة طليت بالذهب الخالص تحمل " جميل " تحفه الزهور والورود وكلمات الأغاني تتردد في الأنحاء وراقصة شرقية شف منها لحم الخصر تتخايل وتتمايل بصدرها الكثيف الرجراج .. لم تقتصر الدعوة على علية القوم بل انضم إليها الفقراء فقد أقيم لهم سرادق قدمت فيه موائد الرحمن من الأطعمة والمشروبات ما لا عين رأت وأذن سمعت أكل المدعوون الكثير منها.

الاحتفال فاخم تعدي بذخه أسطورة موائد هارون الرشيد وتفوق في صخبه من موسيقي وغناء أوركستر سيمفوني وتخطي في عريه وابتذاله مواخير شارع الهرم .. ورقص الجميع على الألحان رقصة الوداع وسهي تحمل طفلها لحجرته المؤثثة بخشب الورد .. لم تتمالك نفسها وهي تضعه في الفراش مثل بدر يشع ضياءاً .. أجهشت بالدموع وهي ترفع يديها إلي السماء هامسة بصوتها الخفيض الناعم الأملس:

- أشكرك .. أشكرك يا عقبي.

أثناء عودتها لحجرتها مرت مروراً عابراً علـــى نـــدي وغصن .. ذعرت غصن مستلقى في قاع القفص .. التقطته .. الطائر يرفرف في يدها .. صرخت في الخادمة ..أتتهـــا مسرعة .. علقت قائله:

- عين يا ستي والله عين.

حاولت سهي إنقاذ غصن .. رشت عليه الماء .. لكنهـــا الرجفة الأخيرة .. مات بين يديها .. احتواها تشاؤم غريـــب وندي ترفض الطعام .. أسرعت بإحضـــار وليـــف لهـــا .. تشاجرا .. فصلتهما .. مرضت ندي .. لم تجد سهي أمامهـــا وسيلة لإنقاذها سوي أن تهبها الحرية فتحت باب القفـــص .. طارت ندي .. حلت عليها السكينة وهي تراها محلقـــة فـــي الفضاء.

في صباح اليوم التالي طلب " شكور " الجنايني من سهي أن تأتي إلي الحديقة رأت ندي تنبش الأرض في نفس المكان الذي دفن فيه غصن .. بعد أيام فارقت الحياة .. دفنتها سهي بجوار رفيقها وكتبت لافتة " غصن وندي ".

١٥- تباعدا تفارقا لم يعد عزوز ينام في حجرة النـــوم .. حاولت سهي أن تثنيه عن هجرها في الفراش بلا جدوى

فإصراره في عمق المحيط .. استيقظ الجميع على صرخة " عايدة ":

- سيدي .. سيدي.

عزوز يشهق .. الشهقات متلاحقة .. ضيق في النفس صاحبته تشنجات وقبل أن تلتقط سهي سماعه التليفزيون لتطلب الدكتور لفظ عزوز أنفاسه .. همد جسده وسهي تصرخ .. الصرخات تعبر الجدران الصماء إلي أعلي .. أعلي نقطة تتجمع فيها حزمة دعوات المظلومين والمنكوبين:

- لماذا لا تدعنا وشأننا .. لماذا يخطف الموت أغلي ما نملك .. لماذا تفعل بنا ذلك .. ظلم .. ظلم.

بعد تشييع جنازة عزوز أتاها رضا السمنودي يعزيها .. استقبلته في دهشة .. في فتور .. لقد تغير مظهره تماماً .. هلت عليه بوادر الثراء .. أنيق ملبسه.. وجهه حليق فواح العطر .. قناع الحزن يكسو وجهه وهو يعزيها بكلماته " البقية في حياتك " كان يريد أن يقول لها كلب وغار لكنه أمسك عن القول .. احترم حزنها .. لم يتحدث إليها .. لم يلمح لها عن موضوع إبنه .. السؤال الذي تخايل على سهي كيف تبدل حاله هكذا .. كيف تغيرت رثاثة ملبسه إلي شياكه

وأناقة .. هل هي ثروة مفاجئة حطت عليه من حيث لا يدري أم إمرأة أخرى أنشب فيها مخالبه .. أم نصبْه كبيــرة علـــى واحد من ضحاياه .. سؤال لم تجد إجابته حتى بعد أن نهض السمنودي مودعاً إياها مهمهما " سنلتقي قريباً ".

١٦- بعد أيام دق جرس التليفون " ميسور " محامي عزوز يطلب لقائها:

- خير؟

رد عليها في لهجة ودودة:

- لدي أمانة أرغب في توصيلها لك.

إلتقاها في مكتبه .. أخرج من الخزينة مظروف .. سلمه لها .. قائلاً:

- وصية المرحوم!!

انقبضت .. ارتجفت أبعاضها همهمــت فــي فضــول متسائلة:

- أي وصية؟!

- وصية وثقها عزوز قبل وفاته.

ثقل كل فهم في رأسها .. كانــت فــي حاجــة لثــواني للتخلص من هذا الثقل الهائل بعدها همهمت متسائلة:

- وفحواها.
- لا تتعجلي.
- بدأ الفار يلعب في عبي.
- يا خبر بفلوس بكرة ببلاش.
- لهجتك في الحديث لا تطمئن.
- نفتحها ونشوف.

بدأت في فتح المظروف .. التقطت الوصية .. قرأتها .. غابت عن الوعي.

١٧- بعد أن أفاقت .. لملمت نفسها .. استقلت سيارتها .. لم تتوجه لفيلتها غايتها لقائي .. كنت أعرف أنها ستأتي لرؤيتي لكن ليس بهذه السرعة المجنونة جرس الباب يدق في إصرار .. فور أن فتحت الباب واجهتني عاصفة محملة برمال الغضب .. صرخات متوالية أعقبها عبارة قصيرة من كلمتين:

- ظلم .. ظلم!!

حاولت لجم غضبها بقولتى:

- إهدئي يا سهي وحدثيني عن المشكلة.

بكت سهي .. تمتمت في صوت متشنج:

- كيف أهدأ وقد حولت حياتي إلي عدم.
- لقد خلصتك تماماً من متاعب الثراء.
- ومن قال لك إنني كنت أريد التخلص منها.
- هي رغبة عزوز.
- لماذا .. لماذا .. عزوز لم يكن يريد ذلك.
- لقد فعل الصواب.
- الصواب أن يحرم ابننا من الميراث.
- ابنك وليس ابنه .. إنه ما فعل ذلك إلا ليتطهر من الذنوب.
- لن أسكت على هذه المهزلة سأطعن في الوصية.
- لو كنت مكانك لترددت كثيراً فلن تجني سوي الفضيحة.
- إنه إبنه.
- اسم لا يعبر عن الحقيقة فهو ابن السمنودي.

صرخت سهي .. الصرخة مدوية تجاوز صداها جدران الشقة:

- لماذا تفعل بي ذلك؟!
- ما فعلت سوي الصواب.

- الصواب أن تقذف بي وبإبني إلي الشارع؟!

- الصواب أن إبنك لا يرث في تركة رجل غريب مليماً واحد.

- أقطف عمري لكن لا تشرده.

أجهشت بالبكاء .. عادت مستطردة .. مستجدية:

- الرحمة يا خالقي !!

انحنت إلي قدمي تقبلها .. أوتار صوتها المشنوقة تخلخل إرادتي وهي تستكمل مسترجية:

- إنسخ ما كتبته .. عدل الأحداث .. أعد لابني ميراثه.

- تريدينها فوضى يا سهي.

- لقد فعل الله ذلك وانت من تكون ؟!

لملمت أجزائها المبعثرة في نهضة مفاجئة دمدمت قائلة:

- مخادع غشاش.

- هذا الذي تتهميه بالغش وتدعي أنه سلب ثروة ابنك عاد فأعطاها لك

راحت في شبه إغماءه تفكر فيما قلته .. تمتمت بعدها:

- لغز!!

- ربما لو بحثت داخل نفسك ستعثرين على حل اللغز.

- كلام غامض لا يودي ولا يجيب.

خطواتها متعثرة إلي باب الشقة الخارجي .. فتحته وقبل أن يتواري طيفها خلف الباب المغلق .. هممت في أسي:

- منك لله .. منك لله.

بعد ذهابها .. تملكني حزن طاغي وأنا أري أحد مخلوقات إبداعي مثل ذوب شمع محترق .. أسرعت إلي حجرة مكتبي .. أمسكت بالقلم بدأت أخط السطور. الكلمات تتدفق .. العبارات مثل شلال مياه .. أفكاري متلاحقة مترابطة .. متوترة متزاحمة .. ساعات وأنا منكب على الكتابة حتى دقت الساعة الخامسة صباحاً .. بدأت أطالع الصفحات.

١٨- جرس الباب يدق في إصرار .. الشغالة تغط في نومها اتجهت سهي لفتح الباب .. خطوها متثاقل .. الوقت مبكر على المكوجى أو البوسطجى أو كشاف النور الدهشة تعصرها فور أن فضت الأقفال وفتحت

الباب أمامها السمنودي .. هبت عنها صرخة استجداء امتزج بها اليأس والأمل :

- إلحقني يا سمنودي.

أصيب بصدمة أفقدته توازنه .. تجاوزت بشدتها كل أحلامه في ثروة يتقاسمها مع ابنه .. لقد دس السم لعزوز حتى ليتحقق له هذا الحلم المستحيل وصبر صبر أيوب على بلائه لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. لم يفكر أبداً وهو يدس السم لعزوز أن يموت ومفتاح الثروة في يده .. الرياح غيرت المسار لكنه سيعكسها رغم تلك الوثيقة اللعينة .. لن يسمح لأي شخص كان أن يقف ضد تيار تحقيق أمل عزف على وتره سنيناً طويلة حتى ولو كان ميسور المحامي الذي حاول منعه من الوصول لمرفأ الأمان والثراء والطمأنينة بعد أن سفه حلمه بإبراز تلك الوصية الملعونة.

١٩- رضا السمنودي في زيارة " ميسور " المحامي .. قبل أن يخطو لمكتبه أعد خطته جيداً حتى وهو في انتظار لقائه داخل الصالة يقدح ذهنه في خطواته .. يعيد ترتيبها .. يلضمها في خيط واحد وهو يعاين دورة المياه .. المطبخ .. الصالة .. وهو يتأمل المكتب .. محتوياته

.. مخارجه .. منافذه .. يرسم في ذهنه خريطة للمكـــان
وعندما حان دوره للقاء " ميسور " بعد انتظـــار طويـــل
كان قد كون عقيدته حول كل مـــا رآه .. جلـــس فـــي
مواجهته وهو يتلصص بكل حواسه البصرية والســـمعية
ما بداخل الحجرة من أثاث للمكتب والخزانـــة الحديديـــة
والمكتبة الضخمة المكدسة بعشرات كتب القانون التـــي
ربما لم يقرأ " ميسور " منها كتاباً واحداً فالمحاماة مثـــل
العدل الآن فهلوه وشطارة ورشوة ومحسوبية .. ابتسم ..
اتسعت ابتسامته وهو يطلب استشارة دفع مائـــة جنيـــه
مقابلاً لها .. أجزل له المحـــامي النصـــيحة التـــي لـــم
تستغرق من وقته سوي خمس دقائق .. زوجة تطـــارد
زوجها بالمقشة والحذاء لا مفر مـــن تطليقهـــا دون أن
تحصل على حقوقها .. وقبل أن يسلك السمنودي طريق
الخروج تعثرت قدمه في السجادة أو تعثر فيها هو عمداً
.. سقط .. تأوه نهض متسانداً على الخزانة الحديدية ..
لامست يده القفل دوي جرس الإنذار وقبـــل أن يغـــادر
المكتب كانت خيوط الخطة جميعها مرسومة بدقه.

في اليوم التالي الساعة الثالثة صباحاً اقتحم المكتب .. فصل تيار الكهرباء عن الشقة بدأ يتعامل مع الخزانة الحديدية " اخترق بالشنيور دماغ الخزينة " فتته " انفتح الباب .. خلفه تنام رزم البنكنوت ومستندات هامة والوصية لقد استطاع أن يضرب عصفورين بحجر قفز لأعلي فرحاً..فقد طوقت المستندات رقبة المحامي!!

٢٠- التقي السمنودي بسهي .. زقزقات الأمل تترنم داخله .. حلمه قارب التحقيق هو وسهي وابنهما جميل يضمهم بيت واحد .. لم يضيع وقتاً بدأت مساومته لسهي .. في يده الوثيقة التي تحرمها من الميراث وعلى لسانه العرض السخي!! يتزوجها على سنة الله ورسوله والثروة مناصفة بينه وبينها هي وابنه.. ضحكت .. الضحكة ساخرة .. أردفتها بكلماتها:

- نسيت أن الوصية موثقة في الشهر العقاري.

التقط السمنودي من المظروف ورقة مد بها يده إليها تمتم:

- لم أنسي .. وهذه هي صفحة الوصية الموثقة في دفتر الشهر العقاري.

- يا بن الحرامية !

قالتها في دهشة .. في تعجب وهي تقرأ الورقة والسمنودي يعقب قائلاً:

- أنا لا أترك أمراً للظروف .. كل خطوة محسوبة بدقة.

عادت سهي تغزه بسنان شكوكها في كلمات مقتضبة:

- لكن فاتك أمر هام.

- تقصدين إبلاغ المحامي الشرطة بواقعة السرقة.

سكت .. عاد مستطرداً في ثقة:

- لحسن الحظ عثرت على أوراق هامة تثبت تواطئه ورشوته لبعض القضاة.

- رغم هذا فالشكوك تحوم حولنا خاصة بعدما يتأكد للمحامي نزع صفحة تسجيل الوصية.

- لن يستطيع لنا شيئاً إذا شهرنا ضده سلاح الاتهام برشوته لبعض القضاة بل أؤكد لك أنه لن يبلغ عن واقعة السرقة.

سكت .. وقف من جلسته .. حوّم حول سهي .. لامس بكف يده عنقها البض همس لها في نشوة:

- ماذا لو دشنا هذا الانتصار بزيجة يتحاكي عنها كل الناس.
- لم نتفق.
- ما عرضته عليك هو آخر المطاف.
- مرفوض يا سمنودي شكلاً وموضوعاً.

سكتت عادت مستطردة:

- مقابل خدمتك شقة تمليك في عمارة البحر الأعظم.
- عملية نصب يعني.

قالها السمنودي ساخراً .. استطرد بعدها في كلمات موحية:

- دبور زن على خراب عشه.

ردت سهى في يأس بالغ:

- لأني رفضت عرضك !
- كما يبدو لي فقد اشتقت للتشرد والضياع.
- شقة تمليك على النيل أفضل من جحر تقضي فيه بقية عمرك.
- وأنا لن أقبل إلا بنصف التركة.
- حلم إبليس في الجنة.
- دخلها ورحمة أمك.

نهض السمنودي من جلسته .. حوّم حول سهى .. قـــال في ثقة وهو يلوح بالمظروف:

- ثمن هذه الأوراق قبضاً وعداً مليون جنيه رشـــوة من المحامي .. لكن أنت ماذا تجنين؟

سكت عاد مستطرداً وهو يتجه نحو الباب الخارجي:

- فكري قبل الفاس ما تقع في الراس وتصبحين بـــلا مأوى.

فتح الباب الخارجي وقبل أن يغيب عن نظرها .. قالت:

- انتظر يا سمنودي.

عاد إلي مكانه .. سألها في حب استطلاع:

- فكرتي؟!

- ساعدني.

- شبيك لبيك السمندوي بين إيديك.

- اشتقت لي؟

قالتها في إغواء.

- ملهلب.

أطبقت يدها على يده .. جذبته . كلماتها همس مخلوع:

- تقدر تسويني على نار هادية؟!

سحب السمنودي يده من قبضتها .. ساورته الشكوك .. أفرزها في سؤاله:

- سلّمت؟!
- أسلم في حالة واحدة.
- كلامك قرآن.
- ستة شهور لم يمسسني خلالها بشر.
- وها آنذا وقد تمثلت لك إنسياً!!
- ليس قبل أن تنفذ شرطي الوحيد.
- أمرك يا ست الكل.
- ميراث إبني لا تقترب منه.
- والباقي ؟!
- مناصفة بيني وبينك.
- ظلم.
- ابنك زي ما هو ابني.
- وإذا رفضت.
- لن تقطف عنقودي الآن ولا مستقبلاً.
- لو مكيدة يبقى مصيرك الخنق.
- يا أهبل الحاجة أم الاختراع.

- استبينا.
- على ماذا يا هذا ؟
- على النصف وقطف العنقود قبل ما يشيخ.
- حيواني متعطش لمائك.
- حنفية وحياتك.

النشوة والشبق والرغبة والحنكة حولت السمنودي إلى حيوان أليف مستأنس يركض خلف صاحبه .. نهضت سهى .. السمنودي مازال في الفراش يشخر بصوت عالي .. اتجهت إلي جاكتته المعلقة .. بحثت في جيوبها .. عثرت على الوصية .. أشعلت فيها النار .. وضعتها داخل طقطوقة أيقظت السمنودي .. فزع وهو يري الوثيقة تحترق .. صرخ وهو يحاول إنقاذ بقاياها:

- عملتيها يا بنت الكلب.

٢١- شهور وأنا متوقف عن الكتابة كلما شخذت قلمي .. عاندني .. وكأن سنه قد انكسر، أو حبره قد جف .. في هذه الفترة التي توقفت فيها عن الكتابة حدثت أحداثاً جساماً أنجبت سهى ابنها الثاني من عزوز .. سجن رضا السمنودي لمدة عام في سجن طره في تهمة نصب

.. بعد الإفراج عنه خرج من السجن مــنفض لا يملــك سوي ملابسه .. لم يفكر كثيراً بعــد أن حلــق وتــريح بالعطر وغير ملبوسه .. اتجه إلي فيلا سهى .. بداخلــه كل الحنق والغيظ .. لقد خدعته خدعة كبري وهو فــي طريقه إليها لم يخطط أو يرسم خريطة للحصول علــى حقه .. كل ما يريده نصيبه في " التورتة " لــن يتــوانى حتى عن القتل لو اضطرته الظروف لذلك .. لــم يــدق الجرس .. قفز من فوق سور الفــيلا .. صــعد علــى مواسير المجاري زاحفاً .. إلي الدور الثاني .. إلي نافذة الحمام .. استكان الكالون لقبضته .. انفتح .. قفز إلــي الداخل .. كل شئ ساكن لا أحد .. لا شئ سوي موسيقي ناعمة .. جائع .. اتجه إلي المطبخ .. رائحة شواء تعبق فضائه الواسع .. فتح الفرن .. بقايا مائدة.. ربــع ديــك رومي مشوي .. التهم اللحم مثل ذئب جائع .. خبط على كرشه تكرع .. اتجه إلي الردهة .. غايته حجرة جميــل .. فتح الباب .. نائم مثل ملاك تملي ملامحــه .. تمــتم همساً " ابني الخالق الناطق " بدأت ملامح الخطة تــنقش حروفها داخل عقله وهو يلفلف الطفل .. يحمله .. يتجه

به إلي الدور الأرضي هابطاً درجات السلم الرخامية .. وقبل أن يستكمل خطواته .. استيقظ الطفل رأي وجهاً غريباً .. بكي .. تعالي بكائه .. استنفز صوته آذان سهي .. أسرعت لمصدر الصوت رأته .. السمنودي يحمل ابنها .. صرخت " ابني " تراجع السمنودي للخلف .. صعد من جديد عدة درجات .. أمسك بساق الطفل .. أدلي بجسده وهو ما زال يصرخ .. كلماته لسهي صاعقة:

- لو صرخة ثانيه سألقي به.

استكانت .. رضخت .. ابنها في يدي السمنودي مثل قشة في مهب ريح هوجاء في تهديده صدق .. لقد أسقط قلبها وهو يفك إحدى قبضتيه عن ساق الطفل قبل أن يمسك به من جديد .. همهمت في استسلام:

- كل ما تريد .. كل ما تريد يا سمنودي.
- حصليني على شقتي ولو تهورت وأبلغت الشرطة لن تعثري إلا علي جثة هامدة.

حاولت مستجدية .. متوسلة .. باكية أن يدع الطفل .. ساومته .. رفض المساومة .. قائلاً .. متوعداً وهو يتجه للباب الخارجي:

- ساعة زمن وتكوني في شقتي على البيكو..أنا خارج من السجن شرقان.

استقلت سيارتها في دقائق معدودات كانت تطرق باب شقته .. في انتظارها اقتحمت الشقة .. جالت في أرجائه صارخة.

- إبني .. إبني !!
- إبني في يد أمينة.
- ولا كلمة معاك قبل ما اشوفه بعينيى.
- نتفاهم .. أقعدي.

إنطوت في ركن منذعرة .. رضا السمنودي مجرم لن يتوانى عن قتله لو ارتكبت خطئاً بسيطاً .. ساورتها المخاوف .. قررت أن تسلم بكل مطالبه .. عليها أن تتريث حتى تعرف مكان طفلها .. اقترب منها السمنودي .. قبلها .. قبلاته مثل سن مسمار محمي على شفتيها .. أبعدته .. همس في شبق:

- سنة لم أذق فيها طعم الحريم.

يلاطفها .. يلامسها .. يفتح سوستة الجونلة .. يربت على فخذيها العاريين .. قطعة جماد قدت من حجر .. همس في انتشاء:

– حتى لو كنت بازلت .. لازم الشق ينشق.

غابت عن وعيها لحظات .. حتى يلتهم خلالها جسدها في شوق واشتياق قال بعدها وهو يرتمي بجسده العاري جوارها:

– عوضتيني عن أيام السجن وعذابه .. نتكلم في المفيد.

سكت .. شغوفةً .. استحثته بنظرات عتابها .. بتوسل ملامحها .. هو يعرف كم هي تعاني من أجل ابنها لهذا فهو يتأنى في اختيار كلماته:

– أولاً تعيشي معانا خادمة لابنك.

– وثانياً ؟!

سألته ساخرة.

– كل الثروة مناصفة بيني وبين ابني.

سكت .. عاد مستطرداً:

– ما رأي الحلوة؟!

– رأيي أن جميل ابنك ولن يطاوعك قلبك على إيذائه ولو حصل وعقلك فوّت فمصيرك الإعدام .. ما رأيك أنت يابو جميل.

- يا سهى أنا سبب نعمتك خلفت مني الولد وسرقت لك الوصية.
- لا أنكر .. لكن ورقتهم احترقت بعدما آل الميراث لابني زاهي.
- ابنك؟!

قالها مدهوشاً.

- صح إبني من عزوز.
- عزوز كان تيس.
- والتيس مصيره ينط على العنزة.
- تلاقيك سارقاه.
- اخرس قطع لسانك.

أخرجت من حقيبتها ورقة .. التقطها السمنودي .. همهمت:

- الوصية خذها .. بلها واشرب مايتها.

هز رأسه .. غير مصدق وهي تستطرد قائلة:

- أيوه .. لم أحرقها.
- لكن إنت أحرقتيها أمامي!

- خدعتك مرتين .. لما توهمت إن أنا أحرقتها ولما أخفيت عنك أنني عرفت قاتل عزوز.
- يا بنت الكلب .. كل دا يحصل منك.
- كلب لما ينهشك يا حقير .. يا خريج السجون.
- عايزة تطلعيني مليط ؟!
- إذا كان عاجبك.
- أقتل وأسرق وفي الآخر البس خبور مغرى.

سكت .. أمام صمتها عاد مستطرداً في دهشة:

- كنت عارفة!!
- عرفت من بهانة الشغالة بعد عزوز ما اندفن .. اعترفت لي إنها دست له السم.
- وسكتي؟!
- آثرت الصمت على الفضيحة.
- يعني كنت تلعبين على وتر سذاجتي.
- اللعبة لعبة ذكاء وهو كان أذكي منك.
- ومن هذا العبقري الذي خطط لك.
- كله بإرادته.
- قصدك أبو خيمة زرقا.

- أحد أولاده.
- أنا لا أحب التنقيط ولا التغميض .. اتكلمي يا سهى؟
- إنت عارفه وقابلته.
- فطميني.
- عقبي الملواني.

استرعي انتباهه الاسم .. لقد سمعه قبلاً .. سألها في حب استطلاع:

- تقصدين هذا المؤلف السنكوح.

سكت عاد مستطرداً مستفهماً:

- لكن ما صلته بنا..لماذا يتدخل في شئوننا .. ما الفائدة التي ستعود عليه.
- حيلك .. حيلك .. إنه مؤلف قصتنا.
- وماله .. المهم يبروز اسمي في روايته لعمل بطولي.
- يا قرة عين أمك .. هو لا يسجل الأحداث بل يخلقها.

خيمت على عقله سحابه شك .. حاول جاهـــداً تبديـــدها بكلماته الفضولية:

- قلت يخلق!!

هزت سهى رأسها أكثر من مرة لأعلي ولأسفل .. تزايد شك رضا السمنودي عاد يســألها حتـــى تنقشـــع الســـحابة الغامضة:

- قصدك يخطط وانت تنفذي.
- بل أكثر من ذلك بكثير.
- إذن هو يخطط وينفذ.
- يخطط وينفذ دون أن يتواجد في موقع الأحداث.
- من على بعد بالريموت كنترول!!

قالها ساخراً .. ردت عليه سهى أكثر سخرية:

- تمام بالريموت كنترول.
- ياريت يسلفه لي يومين ثلاثة أغير به حالي.
- الريموت عقله لا يسلف ولا يستلف.
- يبقي ربنا .. استغفر الله العظيم من كـــل شـــيطان رجيم.

سكت .. عاد مستطرداً في سخرية مريرة:

- أكيد مسك شيطان.
- الشيطان انت يا رضا يا سمنودي.
- لوغاريتمات ست سنيه .. يفتح لها الحنفية فتنساب الأحداث في هداوة ويسر ثم يقفلها فتتوقف.
- غبي رغم إنك تعيش مع أذكياء.
- تريدين إقناعي أن التطورات التي استجدت بعد زواجك من عزوز وعلاقتك بي والوصية وإنجابك لجميل ثم زاهي كلها من تأليفه.

ردت سهى في ثقة:

- ما يكتبه لا بد وأن يحدث طال الوقت أم قصر.
- هذه عسيرة على فهمي .. ورق وقلم ومشاهد مكتوبة تتحول إلي أحداث حقيقية.

سكت .. عاد مستطرداً:

- هذا ما يحدث عادة في الأفلام والمسرحيات.
- لا أفلام ولا مسرحيات بل واقع ملموس.
- تريدين إقناعي أنه يحرك البشر كما يريد كالدمي بخيوط في يده.

- كل ما يكتبه لا يمكن الخروج على نصه .. ربما في تفصيلة ثانوية أما الخطوط العامة فتتحقق كما هي.

- إذا كان ما تقوليه صحيح فبإمكاني السطو على أحد البنوك بسطور يكتبها أو يحولك من امرأة مغمورة إلي سيدة مصر الأولي.

- لكن دون إخلال بالسياق.

- أي سياق وقد طيرت برج من عقلي.

- عقبال الباقي.

- حكايات لا يصدقها مجنون.

- ربما لو استمعت إليه قد تغير رأيك.

أمسكت سهى سماعة التليفون أدارت القرص .. سألت ملهوفة:

- عقبي؟

- أنا عقبي .. أهلاً يا سهى .. خير.

- زاهي خطفه السمنودي ويعتقد أنه جميل؟!

- أعرف خليه على عماه .. لكنه سيعود إليك فمازلت أفكر في الوسيلة لكن أحذريه فهو مثل كلب مسعور.

صرخ السمنودي:

- قال إيه الحيوان دا ؟

وضعت سهى السماعة .. السمنودي في مواجهتها .. مندهش غير مصدق ما يحدث حوله .. هل هذا معقول .. ترهات .. أكاذيب .. خداع .. غش .. سهى ترد في ثقة:

- وعدني إن ابني سيعود إليّ غصباً عنك.

في تلك اللحظة تهادي إلي سمعها بكاء زاهي .. نهضت اتجهت صوب صوت الصراخ. السمنودي يسرع إلي الحجرة خلفه سهى مذعورة وهي تصرخ:

- ابني .. ابني.

دق جرس التليفون .. رفعت السماعة .. صوت سهى في أسي وحزن:

- لماذا تفعل بي ذلك؟
- ماذا حدث؟
- ما حدث .. حدث.
- تكلمي .. هل حدث له مكروه.

بكت صفقت السماعة.

٢٢- الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تم القبض عليّ .. التهمة الموجهة لي تحريض " سهى " على قتل

السمنودي .. وكيل النيابة يقرأ السطور الأخيرة للرواية في اهتمام .. أسرعت سهى إلــي المطــبخ .. التقطــت سكين طعنته ثلاث طعنات .. عاد وكيل النيابة يســألني في ضيق:

- الإنكار لا يفيد يا عقبي.
- أنا لا أنكر كتابتي لهذه السطور .. لكنني مجــرد مبدع.
- سهى تتهمك بتحريضها.
- ودليل الاتهام ؟!

لوح بأوراق الرواية في وجهي بحدة:

- هذا هو الدليل.
- يا افندم ألم تقرأ في حياتك ما يسمي بالإبداع.
- حتى ولم أسمع عنه.
- إذن فقد آن الأوان لتعرفه .. فما تقلــب صــفحاته ليس سوي رواية لو قرأتها لتأكد لك أن سهى أحد أبطالها.
- أرجوك لا تغرقني في بحر الجدل وليكن ردك فقط على اتهام التحريض الموجه ضدك.
- يا سيدي لست محرضاً بل أنا الفاعل الأصلي.

تنحنح وكيل النيابة .. بانت على ملامح وجهه سمات الدهشة.. قال في لهجة صارمة:

- لعبة القط والفار لا تصلح معي .. فاهم.

رددت عليه في ثقة يغلب عليها الصدق:

- ما قلته لك هو الحقيقة .. أنا الفاعل الأصلي ولم تكن سهى سوي وسيلتي لارتكاب جريمة القتل.

سأل وكيل النيابة بغباء:

- تقصد أنها أتت تلك الأفعال تحت تنويم مغناطيسي.
- أكثر من هذا ؟

بدأ الاهتمام يستحوذ عليه وهو يسألني مستوضحاً:

- إذا لم تكن تتلاعب بي فالأمر مشوّق.
- هل تعرف نظرية التقمص؟
- أعرف تقمص الروح للإنسان.
- هذا هو ما حدث .. تقمصت كلماتي سهى فارتكبت الجريمة.
- تريد أن تقول أنك أوحيت للمتهمة لتقتل المجني عليه.

- يكمله أنني لو لم أدون هذا الحدث على الورق فما كان من الممكن حدوثه وأنني ما دفعتهـــا لــذلك إلا للـــدفاع الشرعي عن إبنها قبل أن يقتله السمنودي.

- أوليس هذا غريباً أن يتحول التخيــل إلـــي حيـــاة حقيقية يمارسها أبطال قصصك.

- رغم هذا فهو ليس أكثر غرابة من أساطير الجنـــة والملائكة والشياطين وإبليس هذا الملاك العاق.

- لو سايرتك فيما تقول .. فكيف يتم توظيف الكتابة لتحقيق الحدث.

- قدرات !!

- قدرات أم أعمال سحر؟!

- لو رجعت إلي أقوال المتهمة ثم إلي ما كتبته ستجد تطابقاً في النص والأحداث.

- ومن أدراني ربما دونت بعد ذلك ما حكته لك.

- يا ربي .. كيف تستوعب ما أقول .. إنني عنـــدما أكتب الحدث يبقي ضروري يتحقق.

- وتريد لهذا الكلام الخايب حجب المسئولية عنها.

- بل هدفي الحقيقة.

- الحقيقة أنك قاتل وأنت على بعد كيلومترات من موقع الجريمة !!

قالها ساخراً وكأنه اقتنص الذئب من ذيله .. رددت عليه في ضيق:

- تماماً مثل من يقتل بشحنة متفجرات من على بعد بالريموت كنترول.

ضحك وكيل النيابة .. همهم ساخراً:

- تعرف إن إنت معجزة عصرك.

- أعرف هذا حتى قبل أن أسمع شهادتك.

- مثل هذا الدجل الذي تصدمني به ليس غريباً على أسماعي .. فقد سمعته كثيراً من بعض المتهمين وهم يتهمون الشيطان بتحريضهم.

- ما تقوله هو المعني القريب من أقوالي.

- وأنت الشيطان إذن الذي ألقي بأوامره لسهى حتى تقتل المجني عليه.

- إذا كنت ستقبل هذا التفسير فاعتبرني الشيطان.

- كلام سخيف.

سكت .. عاد إليّ بعد فترة قصيرة محلقاً بتساؤله:

- أمامك فرصة لتعدل عن أقوالك.
- بالعكس أنا مصر عليها وما عليك إلا أن توجه لي تهمة قتل السمنودي.
- بلا أدلة أو أسانيد سوي ترهات مخطوطة على ورق!!

غلى الدم في عروقي .. ضقت ذرعاً به صرخت بأعلى صوتي:

- يا أستاذ ما اكتبه ليس ترهات بل حقائق.
- كلام همايوني سمعناه في قصص ألف ليلة وعلى بابا والأربعين حرامى.
- ماذا أفعل حتى تصدقني ؟!
- حتى أصدقك على أن ألمس الحقيقة بعقلي.
- سأفعل إذا حبستني.
- أحبسك بأي تهمة ؟!
- بتهمة قتل السمنودي.
- أقول لك طور وتقول لي إحلبه يا أخ لا دليل ضدك.
- واعترافي بالقتل.

- اعتراف كاذب فلا صلة لك بالمتهمة أو بـــالمجني عليه.

- وأنا لن أسمح لك بأن تزج بسهى في السجن.

- التحقيقات لم تنتهي معها بعد.

- إنت مخك فوّت .. اعترف لك بالقتل فتصر علـــى اتهام بريئه.

ضاق وكيل النيابة بكلماتي الحادة .. زعق:

- سأحقق لك رغبتك ليس لأنني أصدقك بـــل لقلـــة أدبك.

- تحت شرط.

- لا تشرط علىّ.

- كل ما أريده ورق وقلم.

- كما تشاء.

" يحبس أربعة أيام على ذمة التحقيق ويراعي التجديد في الميعاد " .. كانت هذه تأشيرة صفوت وكيل النائـــب العـــام متهماً إياي بقتل السمنودي وتم ترحيلي لسجن الاستئناف بعد تجديد حبسي خمس عشر يوم هناك في سجن الاستئناف تـــم تسكيني مع القتلة ومعتادى الإجرام .. ولأول مرة أعيش في

حظيرة .. ساكنوها مجموعة من الحيوانات يرعاهم سفّاح .. مأمور السجن يحاسب المحبوس على الشهيق والزفير بل ويعد عليه أنفاسه وضابط مباحث هوايته تعرية أجساد المسجونين وضربهم بالسوط وعسكر قدت أفئدتهم من صخر يمنعون عن المسجون قضاء حاجته .. لم يفتّ في عزمي ما عانيته من طاقم السجن بدءاً بالمأمور وانتهاء بالمساجين من تعذيب وقسوة وسوء معاملة .. بل أفاضت على المجريات اليومية بطاقة إبداعية ليس لها مثيل في الأيام الخوالي .. في هذه الفترة .. فترة حبسي زارتني سهى .. علمت منها أن وكيل النيابة أفرج عنها بضمان مالي .. حاولت أن تثنيني عن إصراري في تحمل تبعات الجريمة .. هي لا تفهم .. ليست لديها الرغبة ولا القدرة على فهم جوانب القضية بأكملها .. طمأنتها أن الإفراج عنى قريب .. فكثيراً ما يصبح الإله ملطشة من كل ذي حاجة يندد به أو يشكك في وجوده وفي رحمته عندما يدعوه فلا يستجيب لدعائه بالشفاء أو الثروة أو تحقيق الأمل .. لم تقتنع سهى لأنها القاتلة أسبابى عسيرة على فهمها .. خلال مدة حبسي شاط "مرشدي" المحامي العام الأول وهو يواجه صفوت بالتحقيقات

الشليلة التي أجراها في جريمة القتل .. وبالحبس الغير مبرر لمتهم وبتحريات المباحث التي نفت التهمة عنى:

- كلام فارغ .. تسجن برئ دون أن تتأكد من صحة كلامه.

أرسل إلي وقبل أن يفرج عنى طلب مني أن يقـرأ مـا كتبت رفضت إلا أنه أصر قائلاً:

- لقد وعدتني ووعد الحر دين عليه.

أمام إصراره سلمته الأوراق .. في البدايـة تصـفحها بسرعة .. لفت نظره اسمه المدون في الأوراق .. تمهل في القراءة تابع السطور في شغف .. انتابته رجفة حقيقية وهـو يقرأ باهتمام .. نظر إليّ في بلاهة غريبة .. غرقت أحاسيسه داخل سحابة داكنة من ثاني أكسيد الغموض .. عجـز عـن التقاط أنفاسه .. زعق زعقة كأنها الموت:

- بنت الكلب كشفت أسراري.

رددت عليه في هدوء ضارب في اللامبالاة:

- سهى لا دخل لها فيما كتبت.

- كيف توصلت إلي كل هذه المعلومات.

سألته في ثقة حفها الغرور:

- صادقة .. أليس كذلك ؟!
- أنا سألتك وانتظر الإجابة.
- الإجابة أنك وسهى نفذتما ما كتبته بالحرف الواحد.
- كلام فارغ.

تفكر قليلاً .. استطرد بصوت مخنوق:

- افصح عن الحقيقة حتى لا تسوء أمورك معي.
- أنا لا أخشى تهديدك.

بدأ صفوت يقلب الأوراق تمتم في هدوء محاولاً استدراجي:

- لا تفهمني خطأ .. كل ما أريد أن أعرفه كيف توصلت إلي هذه المعلومات الدقيقة عن علاقتي بسهي.
- لا جديد لدي سوي أنك أديت الدور الذي رسمته لك.
- كاذب.
- كما هي عادة السلطة لا تصدق إلا ما تريد تصديقه.

لقد استهوته سهى .. استحوذت على لبه ووجدانه وهو يجري تحقيقه معها .. أنثي .. تجاوزت أنوثتها الخط الأحمر

بمراحل .. لونت ملامح حياته الباهتة .. زلزلت كيانه بإغوائها .. ملكة يتوجها الغنج والآهات .. لم ير مثلها إلا في القصص والروايات .. لأول مرة ينجح في الالتقاء بامرأة .. استنفرت أحاسيسه الهامدة أيقظتها من سبات عميق مضى عليه أعوام .. استقدمت بإغرائها .. بجسدها المعبق بسكرة الجنس سفينته التائهة في الأمواج العالية منذ اللحظة التي اختلي فيها بسعدية الشغالة على أريكة الأنتريه وعجز عن اختراقها وهي مستسلمة لرغبته .. حاولت إنعاظه .. الوصول بسفينة رغبته لمرفأ النشوة جدفت في حرفية بكفها .. بثدييها .. بإبطها .. بفمها .. بلا جدوى فقد نزل عليه سهم القدر فحوله إلي قطعة أثاث لا تختلف كثيراً عن الأريكة التي تحتضن جسديهما .. أدانت رجولته بكلماتها السوقية:

- لما أنت خيخه بتريل ليه على النسوان ؟!

عاشت هذه الكلمات بداخله سوط يلهبه .. سنان حجر بازلت يدمي أحاسيسه كلما فكر في التقرب لامرأة .. كان دائماً يخشي المرأة .. أي إمرأة حتى لا تعاوده الآلام المبرحة إلي أن التقي " بوداد " في البداية ابتعد عنها لأكبر مسافة

ممكنة حتى لا تنكأ جرحاً بدأ يندمل .. لكن وداد لاحقته .. حقاً هي زوجة صديقه لكنه لا يقيم للصداقة أي اعتبار إذا تعارضت مع رغباته .. وداد مختلفة تماماً عن سعدية الشغالة .. شقراء .. الدم ينسكب من وجنتيها من كفيها من كعبيها .. عبيق أنوثتها يجذب إليه حيوانات البراري .. تواعدا .. تناغماً في حديث ناعم ساخن توقد بالرغبة والحرمان وفي اللحظة التي تعرت احتوته غيبوبة استفاق منها على كتلة من الضياء تحوطه بذراعيها .. صدرها المتوثب يتوسد صدره يوقظه من نعاس أهل الكهف .. جسدها المدرب يحتويه ينسج كل خيوط الضياء حوله .. يحاول العثور على نفسه وقد تاهت دون جدوى .. يريد اختراق وداد ولا يستطيع.. يرغب ولا يقدر .. ينتشي ويعجز عن تحقيق نشوته .. يكتوي بألم اللذة دون أن يشبعها .. هي الأخرى تستجديه بكل حواسها .. بقبلاتها بملمس جسدها الناعم .. برائحة جنسها الفجة .. بذؤابات نهديها .. تستعطفه أن يلجم فرس شهوتها بعد أن بدأ صهيله يعلو ويعلو لكنه عاجز وكلما تزايدت حدة الصهيل خنقت قدراته حتى تلاشت نهائياً وهو يبزق إفرازاته على حواف ما عون مدرب على

استقبال البزاق في هذه اللحظة ركلته بقدمها .. طرحت بـــه من على السرير .. تكوم .. بكي وكلماتها تضرب أعماقه:

- يلزمك رجل وليس امرأة.

لملم نفسه .. متخاذلاً .. مطأطئ الدماغ .. كارهاً المرأة .. أي إمرأة يراها أو يجالسها يسرع في بناء جـــدار عــازل يفصلهما حتى لا تتكرر مأساة وداد .. لكن سهى اســتطاعت أن تحطم هذا الجدار وهو منهمك في التحقيق معهــا حــول مقتل السمنودي حتى أرهقها .. اشــفق عليهــا .. اســتكان لدموعها .. كيف حدث هذا لا يدري .. كيف تواعــدا .. لا يعرف إلا أنه كان منساقاً خلفها .. مربوط بحبل غيبي تقوده به .. كان يخشاها .. يخشي فيها المرأة .. ســعدية ووداد .. يخشى أن يخفق معها .. لكنها صحبته في رحلة مثيرة إلـــي ينبوع نشوتها ينهل منه كيفما شاء .. لا يفهم كيــف انفكــت قيوده فجأة وتحرر من عقدته وسهى تعزف على وتر رغبته المشدود وتزفه إلي أشيائها وقبل أن تغرقه نثـــرت الـــورود حول الفراش .. طهرت رجسه بعبيق رغبتها وهي تأخذه بين أحضانها اللاهثة .. تركته يصول ويجول باحثاً عن ذاته في دواخلها .. تضرب بدفها الشره تستخرج أعذب الألحان.. لم

تتعجله وهي تذوب شبقا بين يديه .. قبلات وصرخات وتأوهات وأنين عشق " الرحمة يا مليكي فأنا لا أطيق البعاد " " الرحمة بجاريتك وهي تطلب منك الصفح عن وقاحتها في طلب المزيد لكن لا تعذبها وأروي عطشها ".. " الرحمة بلآلئها فكلما شططت إزدادت توهجاً وبريقاً ".. على هذي الحال ليلة كاملة .. ذوب شمعة يحترق ليضيء رقعة مظلمة في حياة صفوت وقبل أن يودعها عرض عليها أن يتزوجها .. مازال صفوت يطالع سطور الأوراق في نهم شديد .. لا يصدق .. لا يريد أن يصدق .. ساورته الشكوك .. داهمته الرؤى .. لم يعد سراً ما حدث بينه وبين سهى .. اتهامه باستغلال سلطته سيف مسلط على وظيفته فقد أوقع في شباكه بمتهمة ينظر قضيتها .. موقفه حرج .. صعب .. دقيق .. نحى صفوت الأوراق جانباً .. راح في تفكير عميق .. سألني في فظاظة:

- إذا لم تخبرني عن مصدر معلوماتك سأحبسك.
- أنا فعلاً محبوس.

التقط الأوراق .. صرخ وهو يهم بتمزيقها.

- ناوي تجنني.

نهضت من مكاني استجديه بكلماتي:

- لا تفعل أرجوك.

بدأ في تمزيق الأوراق .. قذف بها الورقة تلو الأخرى في المزبلة .. استجديته استرحمته بلا جدوى فالعداء بينه وبين المخطوطات سافر .. كل همه أن يمحو آثار علاقته مع سهى .. حجر ثقيل يجثم على صدره .. عصفت بي ثورة هوجاء نحو هذا الشاب المفسود الذي يمزق صفحات من الزمن وهو يضحك ضحكاته الهستيرية المعلبة داخل اللامبالاة وزيف الانتصار .. كل ما يفعله يثير اشمئزازي فالورق الذي خط عليه قلمي لم يرتكب جرماً حتى يمزقه .. إنه يتحداني .. يتحدى إرادتي بفعل أخرق غير مسئول احتوتني نوبة غضب جامح .. نار متأججة تكتوي بها دواخلى .. لم أشعر بنفسي إلا ثور هائج ينطح وينطح في جسد كالجدار أو جدار كالجسد .. صياح وشد وجذب صرخات واستغاثة بالعسكر واستقدام على صدي الصرخات وحصار بسواعد عملاقة .. حديدية وقبضات مثل شواكيش تنهال على رأسي وجسدي وفمي وأسناني لم يتركوني إلا بعد أن تحولت إلي كتلة من اللحم والدماء لا يستطيع عين رصد

فحوي مكوناتها .. سحبوني على البلاط القذر وقبل أن يتواري جسدي بعيداً عن حجرة وكيل النيابة صدر مني فحيح:

- لن تنجو بفعلتك تلك.

٢٣- أيام وأنا مرهون في الحجز على ذمة اتهام بالاعتداء على وكيل النيابة أثناء تأدية وظيفته .. منعوا عني الورق والأحبار وزيارات أصدقائي حتى سهى حرمت من فتنة ضيائها .. طعامي أحصل عليه من بقايا موائد المساجين .. "عدول" الناشر والمتهم بحيازة مطبوعات منافية للآداب يقدم لي يومياً .. كل مساء ما تبقي من مائدته المكتظة بأطايب الطعام .. جمبري واستكوزا ولحم ضاني وفيليه دجاج وكل ما لا يخطر على بال البشر..أيام وأنا على هذه الحال المزرية بلا استحمام والقرفصة على قرصة المرحاض المكشوف للأعين..الباب خلعه المساجين ليتدفئوا على خشبه .. النوم على الأرضية الباردة دون غطاء كل هذا زاد من عدائي تجاه صفوت .. تمنيت أن اقتله .. بعد أسبوع إنفتح باب الحجز على عسكري شحط طويل القفا ..

عريض المنكبين .. صحبني إلي صفوت.. مازالت آثار الكدمات تبرقش جسدي الوهن .. جلست علـى مقعـد أمامه.. حاول ملاطفتي استئناس غضبي وهـو يؤشـر بعرضي على مستشفي القصر العيني ثم وهو يهمس لي:

- بعد شفائك سأفرج عنك فوراً.

في الأمر ما يريب .. سر حاولت استكشـافه والطبيـب يداوي جروحي وهو يسألني عن سبب تلك الجروح:

- عركة مع بعض المساجين.

بعد أيام خرجت من المستشفي إلي سـراي النيابـة .. صفوت في استقبالي بكلماته الرقيقة.

- حمد الله على السلامة !!

حاولت اكتشاف هذا التغير المفاجئ في أسلوب معاملتي .. مثل قمقم أغلق بأحكام على عفريت من الجـان .. أثنـاء ملاطفته لي .. كيف حالك يا رب تكون أحسن .. ماذا فـي هذا ؟! كيف الصحة فاجأته بقولي:

- هات من الآخر .. ماذا وراءك ؟

- كل خير.

سكت .. عاد مستطرداً في تردد:

- لقد حفظت الاتهام بالاعتداء علـــى أثنـــاء تأديـــة وظيفتى.

- وتريد الثمن حالاً !!

- ليس إلي هذا الحد .. كل ما في الأمر لدي ســؤال واحد أرجو أن تجيب عنه بصراحة.

سكت .. وكأنه يستنهض إرادته لطـــرح الســؤال .. عـــاد مستطرداً:

- فجأة هجرتني سهى .. رفضت لقائي رغم إلحاحى .. إنت عملت لي عمل ؟!

أجبته متسائلاً:

- تقصد سحر؟!

- بعد ابتعادها عني ليس أمامي سوي القـــول بأنـــك مارست ضدنا أعمال السحر والشعوذة.

- أنا لا ساحر ولا دجال.

- إذن أريد أن أفهم سبب هجرها لي فجأة.

- اسألها.

- هي الأخرى لا تعرف الإجابة.

سكت عاد مستكملاً:

- هل كتبت سطوراً أخري في قصتك.

لوحت له بيدي وأصابعي .. منذ الهجمة الشرسة ويـدي داخل الضمادات لم أمسك قلماً .. رأي يدي عقب قائلاً:

- آه صحيح .. إذن كيف تبرر هجر سهى لي؟!

سكت .. عاد مستجدياً:

- أرجوك ساعدني حتى استعيد علاقتي بها.
- لست قواداً يا أخ صفوت.
- سأكون زوجاً لها وليس عشيقاً.
- أخالك قد آمنت بي.
- تأكد لي أنك تملك أسحار وتعاويذ تستطيع بهـا أن تسيطر على أقدار الناس ومفاتيح حياتهم.
- ولا أسحار ولا تعاويذ ولا مفاتيح ولا أقفال كل ما في الأمر أن ما أكتبه يتحقق.
- ولا ربنا في سماه !!
- هو فوق وأنا تحت.
- الغرور يقتلع الجذور.
- لماذا تحول عجزك عن فهم الحقيقة إلـي اتهـامي بالغرور؟

- إذا كان ما تقوله صحيح فما عليك إلا أن تقوم بتغيير نظام الكون .. أطل الأعمار واشفي المرضي ويسّر حال الفقراء وأقضي على شأفة الأشرار.

- لقد فهمت مرادي خطأ .. فأنا لا أغير مساراً أو أقداراً .. كل ما أفعله إنني أحلم والحلم يتحقق.

رد على ساخراً:

- وبعد أن يتحقق يتبخر.
- ماذا تعني؟
- الظاهر إن فهمك على قدك.
- فسر ؟
- لماذا فجأة عدت بي إلي نقطة الصفر؟!

العبارة تحفر نفقاً عميقاً في عقلي .. شعاع ليزر يتم تسليطه على جبل .. تتطاير صخوره .. تتصادم مثل نيازك ونجوم .. تتحول إلي ذرات .. توهج عقلي .. حقاً ماذا حدث حتى ينمحي تاريخ صفوت على مدي الأيام التي قضيتها محبوساً في سجن الاستئناف ليصبح عدم .. صفحة بيضاء بلا سطور .. التوهج يضئ دواخلى رحم الحيرة يلد جنيناً .. أغرب ميلاد لأعظم اكتشاف .. باتت الحقيقة واضحة بلا

ستر يسترها .. بكل معايبها ورتوشها .. صفوت على حـــق فقد عاد إلي نقطة الصفر معـــي عنـــدما مـــزق الصـــفحات فانمحت كل الأحداث .. واجهته بحقيقة فعلتـــه الحمقـــاء .. توسلني وهو يقدم لي ورقة وقلماً قائلاً:

- اكتب من جديد مسطور يعيد لي محبوبتي.

- لن أستطيع حتى لو أردت بعد أن تحولت صداقتي لك إلي عداء سافر.

- الله يغفر الذنوب جميعاً فما بالك أنت ؟!

- إلا من يتجرأ بالاعتداء عليه.

رد مستنكراً.

- يعني كفرنا!!

- لقد فعلت معي ما يفعله غيرك مع الإله.

- كل ما حدث بيننا عرْكة بدأتها أنت.

- شجار غير متكافئ بين ممثل السلطة والإبداع.

- ومع ذلك لم ينهزم الإبداع وأمامك ممثل الســـلطة يستجدي ويتوسل أن تعيد له حقه المسلوب.

- أنت الجاني والمجني عليه في نفس الوقت بعـــد أن قمت بمحو تاريخك.

- غلطة لن تتكرر.
- الإبداع لا يكرر نفسه.
- فتفعل بصوره أخرى .. المهم أن تعود إلي سهى لقد كنت ميتاً وأحييتني.
- نعمة أسبغتها عليك ولكنك رفضتها باستهتار.
- والآن أريد منك أن تعيدها إليّ.

بكي .. الصدق يحف بكائه .. شف قلبي نحوه وكلماته تتأوه على ضفاف الأمل :

- لا أريد أن أموت مرة ثانية فإذا كانت لديك القدرة على إنقاذي من محنتي فلا تتواني لأنك لو أهملتني ستجف فروع الشجرة التي أورقتها .. من فضلك أرجوك.

هم نحوي .. انحني نحو يدي المضمدة .. قبلها وهو يهمهم في يأس:

- أرجوك لا تضيعني .. كن عادلاً ..كن عادلاً معي.

في الحجز أياماً تم بعدها الإفراج عني بعد حفظ التحقيق.

٢٤- عدت إلي البيت مرهقاً .. شئ ما يربطني به .. ربما الاعتياد .. ربما عشرة السنين الطويلة .. كم أعشقه .. حوائطه وأثاثه ومعلقات ثرياته .. جماد لكنني أشعر

بنبضه داخل عروقي .. لم أره بهذا الجمال الكوني قبلاً وأنا أتأمله رغم الأتربة العالقة .. الفراش يناديني .. أيام مرت على وأنا في القسم لم أذق فيهـا طعـم النـوم ... أسرعت ألبي النداء .. استيقظت .. نظرت إلي المنبـه الجالس على ظهر الكمودينو .. إثنا عشر سـاعة وأنـا أطعـم أرزاً مـع الملائكـة .. نهضـت .. حلقـت .. استحممت نشقت وجهي بالكولونيا .. جلست خلف مكتبي .. أمسكت بالقلم .. عاندني .. قذفت به .. غاضباً منـه .. كيف يتمرد على صاحبه رحت في تفكير عميق حول مبرراته .. هو لا يطاوعني .. يرفض تكمله القصـة .. تحدث إليّ وهل القلم يتحدث ؟! نعم .. الحديث شيق عن رأيه في الرواية وأحداثها ومحصلتها جرائم قتل وسرقة وخطف وخيانة وغصب .. ما قيمة الحياة إذن مع عدل مفقود كيف تستقيم أمورها إذا عجز الكاتب عن العثـور عليه .. لقد قتل عزوز وقبل أن يموت حرم إبن السفاح من الميراث .. سرق السمنودي الوصية وخدعته سـهى فاختطف ابنها وقتلته ليقع وكيل النيابة صفوت في عشقها .. حزمة من الجرائم .. دراما قاسية العدل فيها مفقود ..

لكن أي نوع من العدل .. مواصفاته .. العدل الإلهي أم عدل البشر ؟! وهل مهمة الخالق تحقيق هذا العدل المفقود بالمعايير البشرية ؟ .. إنه ليس قاضي يحتكم في إصداره لأحكامه لقوانين وضعية سنها البشر بل هو مبدع له قوانينه الخاصة به .. يخرج بها عن المألوف .. قوانين لا يعترف بها المجتمع عادة .. لكن إذا كان في استطاعة المبدع تغيير نمط الحياة وإنقاذ المجتمع من الانحطاط والسفالات بتفكيك منظومة المفاهيم البالية التي تحولت إلي سدود وعوائق ومصدات أمام تيار كل فكر جريء .. إذا كان في مقدوره ذلك فلماذا التردد؟ لكن كيف يتحقق هذا وأيادي السلطة تقبض بشراسة على مقدرات الناس بيد ملوثة بالفساد والإفساد .. إن مهمة المبدع التغيير لكن ما نوع هذا التغيير في مجتمع متدنى .. متخلف .. معوق ؟؟ .. هل في أسلوب الحياة الذي يفتقر إلي الحد الأدنى من المفهوم العقلاني أم في التخلص من الغيبية وقد بدأت سميتها تسري في الدماء أم في تحديث التقاليد البالية التي تقف عائقاً ضد التقدم؟!!

أيام وأنا أتحاور مع نفسي عن النتيجة .. الفائدة المحققة من تغيير واقع هذه الفئران البشرية التي تتكاثر بأعداد رهيبة دون رادع وقد ضاقت بها الأمكنة .. فاعتنقت ثقافة المحدودية تعبر بها عن ضيق المكان والمال والنفس .. ثقافة انتهت بها إلي ردة حضارية .. عادت بها إلي قرون فائتة بعد أن توقف تماماً عقرب الساعة عن التطور والتطوير .. على أي الأحوال لابد أن أنهي القصة .. لقد بدأتها ولا بد أن أنهيها .. تملكتني حالة من الضيق على كل أبطال قصصي .. حالة من الثورة على إبداعاتي وأنا أطالع صفحات كتبتها .. ما هدف ما كتبته؟! ماذا حققت؟! نعم لقد تقمصت صفة الخالق السماوي لكنني اتبعت أهوائي وأنا أكتب وأنا أرسم شخصيات روايتي وأنا أضع مراسم أحداثي هذا الذي كتبته لا بد من نفيه للمجهول .. ليس بتمزيق صفحاته بل بإعدامه .. أحرقه لأعود لنقطة الصفر .. ترددت وأنا أتساءل .. هل هذا حقي أن أمحو سطور تاريخ وأن أمسح أحداث من ذاكرة المجتمع ولم لا وقد نسخ الله قرآنه .. استكثرت على نفسي أن أكون ديكتاتوراً لا يحركني سوي رغباتي وأفكاري الخاصة بي .. لكن أوليس هذا هو الحادث في المجتمعات

المتدينة عندما يغير الحاكم نمط الحياة إلي ما هو أدني من نعل الحذاء أو عندما يسطو ديكتاتور على مقدرات شعب بالجنزير والأساور الحديدية وينكل بناسه .. زال ترددي وأنا أعيد قراءة ما كتبت من صفحات .. رأيت صور أبطال قصتي تبكي .. الدموع تبلل الأوراق .. كم المآسي تحملت .. كم من المظالم عانت .. سهى وعزوز والسمنودي وجميل وميسور وصفوت .. الصور تجهش بالبكاء وهي تتكلم .. تعاتبني .. كم كنت قاسياً على شخوصها .. كم كنت ظالماً لسهى .. أيام السعادة معدودة وأيام الشقاء ممتدة.

عليّ أن أبدأ من جديد وعندما يحدث هذا سيكون العدل رفيق قلمي .. لن أحيد عنه لن أظلم مخلوقاً .. التسامح شيمتي والحق قيمتي أعلي من قدره .. احتكم إليه لحظة حيرتي .. إطاره الحرية .. عبيره المساواة ..نسماته الضمير .. معاني نفتقدها في عالم يضج بالفوضى .. تعوم مثل بقعة بترول على بحيرة عذبة .. في أمس الحاجة لمفهوم تحقن به الفوضى فتشل أطرافها وتتحول إلي قعيدة لا حول لها ولا قوة .. في أمس الحاجة لنار تحرق بقعة الزيت حتى تتلاشي .. اليوم أنا في حاجة لأفعل ذلك حتى يتطهر المجتمع من

ذنوبه ولو أدي بي الأمر أن أخرج من ذاتي .. من كينونتي التي تضم أبعاضى المتناقضة !! أشعلت عود كبريت وقبـــل أن تطول النار أول ورقة انطفأ .. لقـــد نفخـــت شـــعلته .. عاودني التردد .. أتاني الذاهب وهو يهمـــس لـــي .. كيـــف تحرق تاريخاً صنعه إبداعك لكنه تاريخ مجلل بالذنوب .. لا أطيقه .. يجب أن ينمحي من ذاكرة التاريخ .. أشعلت عوداً آخر .. أمسكت النار بالورقة الأولي .. بـــدأت تحتـــرق .. أحسست بعظامي معها تحترق .. بجسدي يرتجف .. سمعت صرخات مدوية .. بكاء نحيب .. ألم .. عذاب لا أدري هل هو صراخ أبطالي وتاريخها ينمحي أم صرخات ذنوبهـــا .. قوة غير منظورة تحاول التصدي لي .. تحاول منعـــي مـــن إكمال مهمتي وأنا أشعل النار في الورقـــة الثانيـــة والثالثـــة والرابعة نفس الصرخات التي كنت أسمعها والولولة والبكاء مع كل ورقة تحترق وكأنني كنت أضرم النار في جسدي .. كنت أتعذب .. أشعر بلسعتها وأنا احرق إبداعي لكـــن مـــع انتهاء مهمتي أحسست براحة غريبة تسري في أوصـــالى .. النار التي تأججت داخلي تحولت إلي طمأنينة وسلام وكأنني قد مسحت كل خطايا البشرية بحرق أوراق قصتي .. غداً ..

وغداً هذا ليس ببعيد سأعيد قلمي إلي حضن أصابعي الحنون .. أخط به الصفحات .. أتغني للعدالة .. أتـــرنم للحريـــة .. أقاوم الظلم .. العنف .. اللامبالاة .. الإســفاف .. انحطـــاط السلطة .. أخطاء الحاكم المميتة .. فساد حاشيته الموغل في الفحش.

٢٥- شهور وقلمي عازف عن الكتابة .. مازال يعاندني .. كلما هممت به وحاولت الكتابة يتوقف سيال الإبـــداع .. تخبو شعلته داخلي .. لا أدري ماذا ألم بي وقــد طفــت علي فقاقيع الملل كلما فجرت واحدة انتفخ غيرها بثــاني أوكسيد الملل .. زهدت الحياة .. ما قيمتها وقد تحولــت إلي حزمة من المخاوف وانعدام الأمان فـــي الحاضـــر والمستقبل .. ضمر جسدي ونحل عودي وانسدت شهيتي عن مباهج كثيرة كنت أنغمس فيها لشوشـــتى .. تحـــول عشقي لها ورغبتي فيها إلي خصام ثم عداء حتى سوسن حبيبتي ورفيقة فراشي ومخدر نشوتي بـــدأت اتحاشـــي رؤيتها وأجدل الأعذار حتى لا ألتقي بهـــا .. بـــالأمس طرقت الباب .. راعها حالي.. أشفقت عليّ .. أصـــرت على أن تخرجني من صمت معاناتي .. خلعت ملبوسها

.. قنديل جسدها يكب الضي على أحاسيسي الجافة .. لم يخضر منها ورقة ولا فرع ولم تحرك فيّ ساكن كنت مثل حجر أصم.

خشيت على نفسي من نفسي وحالتي تتدهور من سئ إلي أسوأ لا أدري لماذا هل لأنني أحرقت تاريخاً بأكمله أم لأنها لحظة ولادة متعثرة الأولي ندماً والثانية أملاً!! قررت أن أشخص حالتي بوضع نهاية لحبستى داخل المنزل .. أعرف بعدها هل هو مرض تمكن مني أم إنها بوادر شفاء .. خرجت إلي الشارع .. لا أعرف لنفسي هدفاً سوي أن أخرج وأشرب واسكر واستمتع.. قادتني قدماي إلي حانة " عش الغراب " استعيد معها ذكري الأيام الفائتة .. الحانة على حالها .. لم يتغير فيها شئ . مقاعد مشرأبة الأعناق تلف البار وأخري خفيضة رصت حول مناضد خشبية متهالكة يغطي عورتها مفارش شاحبة الأرسام تتخللها بقع وسخ.. السكارى جلوس تتناقل أياديهم كئوس الخمر والكوبات .. فور أن رآني " شتا " البارمان وأنا أتخير مكاني على مقعد مرتفع لصق البار رحب بي قائلاً:

- نورت المحل يا سعادة الباشا.

- ويسكي دوبل يا شتا.

يد شتا تزحف بالكأس .. التقطته رفعته لفمي وفي لحظة اختفي السائل الذهبي.. أعقب ذلك قولتي الساخرة:

- عبي يا بوز الأخص.

ثاني وثالث ورابع .. منذ فترة لم أسكر .. الكئوس الأربعة أدارت رأسي أحسست بخدر خفيف .. زقزقات طائر .. تغاريد تترنم داخلي والموسيقي الناعمة تنساب إلي أسماعي ونكهة ضحكات السكارى البهجة المرعوشة تتذوقها أذني وسحابات دخان التبغ ضبابة ندي تفضح الأضواء حقيقتها .. في مكاني المرتفع على المقعد العالي أحاول نسيان ماضي وحاضري بل مستقبلي .. فقدت الاهتمام بكل شئ حتى إبداعي بعد أن أعلن العصيان عليّ .. فجأة ولولت السكرة التي كنت أرتشف قطرها .. قطرة .. قطرة وأنا أري سهى تعتلي المسرح .. ضمني طوفان نوح بأمواجه العاتية استغثت .. لا أريد أن أغرق أتاني الصوت لا عاصم اليوم من أمر الله .. في مكاني لا أستطيع الحراك .. إرادتي شليلة .. دوامة الطوفان تأخذني إلي الأعماق .. أنفاسي تتعثر أحاول الطفو بلا جدوى .. ما أراه سهى وليس شبيها لها

والطبال صفوت وكيل النيابة .. كيف ؟! الإجابة عسرة بل مستحلية .. لقد ظننت في البداية أن ما أراه أطياف مخمور لكنني تأكدت وأنا أسأل شتا .. هي سهى وليس متشبهاً بها !! انتظرت حتى أنهت رقصتها اتجهت إلي الكواليس .. اقتحمت حجرتها فور رؤيتي صرخت:

- أخرج بره .. أخرج بره.

لم آبه لصراخها .. في وقفتي وأنا أتأملها لا أبرح مكاني مثل تمثال قد من صخر وفي اللحظة التي نطق فيها التمثال همهم:

- ليس قبل أن أسمع قصتك.
- أنت تعرفها أكثر مني.
- إهدئى قليلا وأخبريني كيف أتيت هنا ؟!
- أنت ولست غيرك.
- صدقيني.. أنا لا دخل لي فيما يحدث لك.

قاطعتني في حدة مزجها الغضب:

- كذاب .. كذاب.
- ماذا أفعل حتى تصدقيني.
- أن تبتعد عني.

- في حالة واحدة فقط أن تتحدثي.

٢٦- في كازينو هافانا .. تجالسنا أنا وسهى .. طال حديثنا .. تخلله كثير من الدموع والآهات .. إمتشقت ضدي سيف الاتهام .. بت أنا المجرم الوحيد الذي قلب حياتها رأساً على عقب .. ما حدث خلال الشهور الفائته لا يصدقه عقل فقد تسلمت إعلان على يد محضر من " هلباوي " شقيق زوجها القاطن في أمريكا ينكر فيه نسب عزوز من ولديها جميل وزاهي فقد طلقها غيابياً طلقة بائنة قبل ميلاد طفليها بسنوات ولم يمهل القدر زاهي فقد أختطفه الموت بعد أن وقع صريع حمى شوكية .. وأصدرت المحكمة حكمها بإنكار نسب جميل من عزوز واستولي " هلباوي " على كل التركة .. فانتقلت سهى للإقامة في بنسيون " مبروك " وعادت للعمل في حانة عش الغراب .. سألتها عن صفوت أجابتني:

- استقال من عملة وفضل أن يصاحبني طبال.
- وقضية قتل السمنودي.
- تم تبرئتي بعد أن تأكد للمحكمة إنني كنت أدافع عن ابني.

في لحظات سردها للأحداث على صهوة جواد الـــزمن متنقلة من منخفض إلي مرتفع .. من وادي إلي جبل من نهر إلي شط وأنا أنصت لها .. فهمت ماذا حدث لها ولماذا حدث .. فبعد أن أحرقت أوراق القصة عادت ســهى إلـــي نقطـــة الصفر إلي اللحظة الأولي التي كانت تغني وترقص داخـــل حانة " عش الغراب " بكيت لم أبكها بل بكيت نفســـي .. أن أتسبب بحرق إبداعي في ضياع ثروتها وموت ابنها تملكنـــي إحساس بالندم إنني حرقت صفحات من التاريخ .. لم يتبقـــى من تاريخ سهى سوي الدموع .. لكن ماذا يجدي البكاء على اللبن المسكوب .. على أن أعيد كتابة قصتها .. لكن كيـــف وقد عاهدت نفسي أن أكتب بعدالـــة مطلقـــة دون تحيـــز أو مجاملة .. لكن هل العدالة المطلقة تحتم على سهى أن تعيش في بنسيون صغير وأن تتقوت مثل الدود؟! أي عدالـــة تلـــك التي تحكم على الإنسان بالحياة وهو ميت يتـــنفس ويشـــرب ويتناسل رغم أنه في عداد الأموات .. نعم لقد ارتكبت سهى أخطاءاً فادحة .. حتى هذه الأخطاء لا يستأهل التكفير عنهـــا ذلك العقاب القاسي فتفقد ثروتها ويموت ابنها ويقتل زوجهـــا وتعود لنقطة الصفر.

قبل أن أصافحها مودعا همهمت في يأس قائل:

- أنا لا استحق منك كل هذا الظلم.

٢٧- أيام وأنا حبيس شقتي أفكر فيما آل إليه حالي .. هجرت الناس .. فرضت على نفسي حبساً اختيارياً .. سحبت فيشة التليفون حتى لا أرد على المكالمات التليفونية .. استطالت لحيتي .. أنكرت وجهي في المرآة .. هو لوجه شيطان أتي إلي من عالم غامض مريب ربما ليوحي لي برسالة نبوة كاذبة .. لست مؤمناً بها.. فلا أريد أن أخدع البشر بالمنمق من الكلام وأنا أعدهم بجنة فيحاء في نفس الوقت الذي أسلمهم لبراثن القدرية والاستسلام والانهزامية .. ثلاثة أسابيع لم أغادر فيها زنزانتي الاختيارية أحاول الوصول لمفهوم يسعدني ويطرب الناس.. ساعات مضنية قضيتها سابحاً في بحيرة الحيرة .. مياه آسنة عطنة .. ينام الخطر في أعماقها وعلى شطئانها .. تماسيح وثعابين وحيات شاهرة عدوانها .. وكان عليّ أن أسبح في حذر بالغ حتى لا أصبح طعماً لتمساح أو فريسة لثعبان أو ضحية حية إلي أن توهجت بالرؤية .. رأيت حقيقة العدل

المطلق تسطع داخلي .. باتت في متناول عقلــي ولمــا حدث خرجت إلي الشارع الرابعــة صــباحاً والهــواء الرطب يصافح وجهي وأنا أتصايح " لقد رأيتها .. لقــد رأيتها " !! الحقيقة مكانها هناك في الشوارع الخلفيــة .. الحواري .. الأزقة .. في هذه الأماكن المزريــة تــري العين ما تري .. إجحاف الحاكم بشعبه .. إذلاله لناسه.. ظلمه لرعيته .. صورها طفولة ذابلة في عمر الزهــور .. شبيبة خاملة .. رحلت عنها رائحة الورود لا يشــتم منها سوي العطن وعفن الركود .. نسوة تتبــت النــوى اتشحن بالاسوداد القاتم .. غطت به نبت شــعر الــرأس ومسحة براءة الوجه.. فقدت طريق العشق والهــوى .. وجوه أظلمت وشفاه للصمت أدمنت .. في تجوالي كنت أتنقل من شارع إلي حارة إلي درب والعيــون ترصــد حركتي يقتلها الفضول حول هذا الزائر الغريب وهدفــه من الزيارة وأنا أسير ضارباً عرض الحائط بفضولهم .. كل همي أن أتطهر بالخطايا التي ترتكب في حقهــم .. خطايا الفقر والمرض والذل وضيق ذات اليــد والكبــت والحرمان والعبودية .. هل هذا ممكن .. نعــم فــدماء

ضحايا الثورات تطهر الحرية من ذنوب الأكابر .. أثناء مسيرتي وأنا أري أنماطاً من البشر لم أرها في حيــاتي .. قمقم فتحته ليرتفع منه دخان يتحول إلي عفريــت .. بل إلي عفاريت .. صور كربونية لعشش واطئة بأسقف صفيح .. لشوارع أغرقتها مياه المجــاري .. لأطفــال ونساء يملئون جرار المياه من الحنفيــات العموميــة .. لبشر يقضي حاجته بجوار حائط أو في خرابه مع القطط والكلاب .. صور تغم النفس .. لا بسمة ولا ضحكة ولا كلمة .. حتى لقد خيل إلي أنني اختلط بخرس لا يتكلمون إلا عندما يتشاجرون .. لحظتها يرتفع ضجيج السباب .. حتى هذه اللمة التي تتفرج في إحدى الحواري الخلفيــة على قرداتي يلاعب قرداً وفي يده دف صغير يدق عليه بأصابعه .. حتى هذا الجمع من الناس افتقد البسمة .. ما يحركه فقط هو الفضول حول ما يفعله القرداتي مع القرد وهو يأمره " نوم العازب " فيتشقلب على ظهره " عجين الفلاحة " فيقفز لأعلي وأسفل في حركات بهلوانية .. ما يفعله القرداتي مع القرد صورة مكررة لما يفعله الحاكم مع الناس يرون فيها أنفسهم .. وعندما يعقدون مقارنـــة

يخرجون منها خاسرون فالقرداتي يكافئ القرد بشـــريحة جزر كلما أتقن حركة أما الحاكم فيخـــيفهم بالعصـــا .. توقفت كثيراً أمام القرداتي وهو يصدر أوامره والقـــرد ينفذها في سلاسة وسهولة ويسر .. ثم وهو يدور علـــى ثلة البشر التي انفض معظمها ماعدا قلة قليلة وفي يده " كسكتة " بلهاء يجمع فيها ما تجود به أيـــاديهم.. اتجـــه القرداتي إليّ ويده ممتدة نحوي بالكســـكتة .. بـــداخلها قروش قليلة.. قذفت في الطاقيـــة بعشـــرة جنيهـــات .. اندهش الرجل .. التقط الورقة النقدية تملاها .. لوح بها .. همهم في استرابه:

- مزورة !!

ضحكت .. تمتمت في غبطة:

- أصيلة مأصلة.
- أكبر مبلغ حصلت عليه في حياتي كان جنيه واحد.
- روق نفسك إنت والقرد.
- والمقابل ؟!
- لوجه الله تعالي.
- عمر ما وجه الله أطعم فقيراً.

- وحصل!!

٢٨- افترقنا .. ضجيج تعلو وتيرته داخلي وأنا أغادر المكان .. لقد سيطر القرداتي على ملكاتي الذهنية .. أيام وصورته لا تفارقني .. وهو يقلب الورقة النقدية في يده وهو يسألني عن المقابل .. ألحت على صورته قررت العودة لزيارته .. رأيته في نفس المكان تحوطه نفس اللمة .. بعد أن انفضت تقدم نحوي مصافحاً .. إحساس تمكن مني إنه ليس غريباً عني .. صديق قديم ربما قبل الأزل سبق أن رأيته وجالسته وعايشته وهو يتأبط ذراعي يهمهم ساخراً:

- أكيد ندمت على العشراية.
- لا شئ يستحق الندم.
- أنا بشبه عليك زي ما أكون شفتك قبل كده .. لكن متى وأين لا أعرف!!
- نفس إحساسي يا.

رد على استفهامي قائلاً:

- خدامك شبراوي.

حمحم الصمت حولنا .. قصقص شبراوي جناحيه بقولته:

- أنا قلبي ارتاح لك .. ممكن أعزمك على واحد شاي في الخمسينة.

في قهوة قريبة .. تجالسنا .. تحادثنا .. الحديث ودي .. متنوع فجأة حط على قلب شبراوي نسر جارح وأنا اطلب منه شراء القرد .. رد في ضيق مكتوم:

- تشتريه وأنا ؟!
- أنت ماذا ؟!
- ماذا أفعل بدونه؟
- افتح كشك .. أجر محل !!
- ومهنتي؟!
- غيرها.
- هذا هو المستحيل بعينه.
- لو عرفت عرضي يمكن تطب ساكت.
- كام .. مائة .. اثنين.
- لا فوق .. فوق.
- ألف .. ألفين.

- ثلاث آلاف.
- خضتني.
- موافق؟!
- ولا مليون.
- نرفعهم لخمسة.
- صحيح أنا في عرض مليم لكن الزيني لا.

قالها صارخاً.

- عنيد ومكابر.
- يا بيه أبيع نفسي.
- كل شئ في هذه الحياة يباع ويشتري.
- إلا نفسي.
- نفسك ليست القرد.
- أنا وهو واحد.
- خمسة آلاف جنيه تبدل حالك من الألف للياء.
- النقود مصيرها الزوال.
- ما انت الآخر مصيرك الزوال بهذا الحال المزري.

رد مستنكراً .. غاضباً:

- ميسورة والحمد لله .

كان هذا الرفض كفيل بإغضابي .. لكن الغموض إستثار فضولي .. كيف لرجل منفض عريان أن يرفض خمسة آلاف جنيه ثمناً لقرد أجرب .. عجيب أمره .. دهوش نهجه .. لم أغضب .. ربما لأنني لم أكن جاداً في عرضي ربما لأنني كنت أريد الوصول لأغواره البعيدة .. ماذا هو وكيف هو؟! ولماذا ارتباطه هذا الغريب بالقرد لكنه برفضه أثار الشكوك في نفسي .. حولني من مجرد مراقب لحدث إلي مشارك فيه متفاعل معه!!

الساعة الواحدة صباحاً دق جرس الباب أسرعت ألبي النداء .. في مواجهتي رجل غريب لم أره قبلاً .. بيده مقود فور أن فتحت الباب دلف إلي الصالة خلفه قرد يسحبه في قسوة .. همهم بصوت مشروخ:

- هات الفلوس وخد القرد.
- قبلاً عرفني بشخصك الكريم.
- أنا مسعد شقيق شبراوي.
- وطلباتك يا مسعد.
- إنت اشتريت القرد وناقص ثمنه.

- بدون موافقة شبراوي لا يلزمني ولا ينفعني.
- هو أكل أم بحلقة.
- لا أكل ولا بحلقة بل نصب صريح.
- أنا لا نصاب ولا حلنجي.
- تبقي توريني عرض اكتافك بدل ما البوليس يطبطب عليهم!!

تلكأ قليلاً وقبل أن يهم بالخروج تمتم وهو يمد يده لي بالمقود:

- ألف جنيه وربنا يبارك لك.

قلت ساخراً منغماً:

- لن أشتري القرد إلا وشبراوي معه.
- طيب خمسمائه .. مائتين.

دفعته بقسوة .. وأنا أهمهم:

- بره يا حرامي.

٢٩- أتاني شبراوي صارخاً .. جائلاً الشقة بعينيه:

- فين الزيني .. فين الزيني ؟!
- استهدي بالله وأحكي لي الحكاية.
- مسعد سرقه وباعه لك.

- سرقه لكن أنا رفضت البيعة.

الشبراوي في حالة يرثي لها .. كل هذا من أجل ماذا ؟! قرد أجرب لا راح ولا جه .. رقعة شكوكي تتزايد حول اهتمام شبراوي به .. المسألة فيها سر .. القرد يمثل لديه قيمة عظمي .. أمر جلل .. حاولت تهدئته ..جالسته .. قربع براد شاي.. سحبته على البارد وأنا أوجه له السؤال تلو السؤال .. فجأة رد على بضيق قارب الانفجار:

- الجاهل يقول عدس والأجهل يقول فول.
- يبقي ناقص تعلف الحمار.

في تلك اللحظة شد وتر غضبي وهو يرد قائلاً:

- إنت لا عارف ولا فاهم .. تمام زي الأطرش في الزفة.
- خلاص أصرخ في ودن الأطرش .. ركب له سماعة.
- حتى لو ميكروفون.
- فضفض .. يمكن ألاقي لك حل.
- إذا كنت أنا فشلت.
- لو الناس كلها لبست طواقي لما اختلفت الحواكي.

فجأة تفككت مفاصل عناده وهو يجهش بالبكاء .. كلماته صادقة:

- الزيني جزء مني وصاني عليه الشيخ عرجون قبل ما يقابل وجه رب كريم وقالي بعظمة لسان هو قطعة منك .. حاذر إنك تهمله أو تفرط فيه.

بعدها وقف فجأة سألني:

- انت مؤلف.
- صح أنا مؤلف لكن عرفت إزاي.
- الشيخ عرجون كلمني عنك.
- عني أنا؟
- قال لي أدور عليك.
- هو كان يعرفني؟!
- إللاّ يعرفك .. أظن أسمك عجبي .. عتبي .. دا أنا حفيت عليك.

سكت عاد مستطرداً:

- هو إنت غيرت عنوانك.
- من خمس سنين.
- آه يبقي أنت حلاّل العقد المستعصية؟!

قالها بلا اكتراث.

- أي عقد يا شبراوي ؟!

- دوختني عليك السبع دوخات.

- خليهم ثمانية .. أكيد روح الشيخ عرجون كلمتك.

قلتها ساخراً.

حتى هذه اللحظة لم أفهم ما يرمي إليه شبراوي من حديثه قذف بي في بحر الحيرة .. حاولت استدراجه قائلاً:

- أنا لا قابلت عرجون ولا شفته ولا سمعت عنه إلا منك.

- لكن هو قال لي إنك تعرف لغز الزيني.

- هي فيها لغز؟

- وأي لغز .. لقد أوصاني قبل وفاته أن لا أفرط فيه.

- تقصد الزيني؟!

- هو فيه غيره .. لقد أكد لي الشيخ عرجون أنه ثروة تقدر بالملايين.

- هذا القرد الأجرب.

قتلها ساخراً.

- الشيخ عرجون لا يكذب.
- لكن كيف .. الغموض هو ما تحدثني به.
- هذا ما أخبرني به الشيخ عرجون قبل وفاته.
- وتريد إيهامي أن روحه قادتني إلي هذا المكان.

وقف شبراوي فجأة صائحاً مثل نيوتن:

- وجدتها .. وجدتها !!
- هي التفاحة وقعت من على الشجرة !!

قلتها ساخراً.

- صح .. ووقعت في إيدك.

رددت عليه في ضيق:

- فيه ماذا يا شبراوي؟!
- فيه إن أنت هنا لتكتشف حقيقة اللغز.
- أي لغز .. الخلاصة إنك صدقت كلام عرجون وحلمت إن القرد يساوي ملايين وترفض أن تصحو من الحلم على كابوس.

احتوانا الصمت لفترة وجيزة .. عدت بعدها مستطرداً:

- إذا كان عرجون نفسه لا يعرف لغز الزيني فكيف يجزم به.

كانت هذه آخر عبارة قبل أن ينفض مجلسنا.

أثناء عودتي إلي شقتي ظل حديث شبراوي يجثم على صدري .. ربما كان عرجون واحداً من شخوص رواية " القرد والأسورة " التي كتبتها .. حتى لو حدث هذا فكيف أكتشف لغز الزيني .. لم يغمض لي جفن .. تصفحت الرواية .. توقفت عيناي على الصفحة العشرين .. احتوتني الدهشة إن عرجون حقيقة وليس وهماً .. لقد فاضت روحه قبل أن يفشي سر القرد.

٣٠- في اليوم التالي قادتني قدماي إليه .. نفس المكان ونفس اللمة وشبراوي وبصحبته القرد بعد أن استرده من مسعد وصيحاته المألوفة .. " نوم العازب " .. " عجين الفلاحة " .. " حرامي الغسيل " .. " طربوش الأفندى " .. والقرد يؤدي الحركات بخفة ورشاقة وشبراوي فرح به يلقمه بين كل آونة وأخري قطعة جزر كنت أتابعهما وأنا أفكر .. كيف يساوي هذا القرد المنحول الوبرة ملايين .. ماذا فيه.. إنها مجرد نكته أطلقها عرجون على أسماع الشبراوي .. هززت رأسي مستنكراً على نفسي أن أفكر مثله .. ابتسمت .. فجأة حط على قلبي

مخالب نسر وشبراوي يصيح في القرد " نومة العازب " انقلب على ظهره .. النسر ينقر شغاف قلبي بمنقاره .. يدميه .. دمه يسيل وأنا أري وشماً على بطنه .. اقتربت من القرد .. الوشم لصليب بجواره هلال وبينهما مسلة طلبت من الشبراوي التوقف .. ابتعدت به بعيداً عن اللمة .. تفحصت القرد .. ما رأيته لم يكن سراباً أو تهيؤات .. بل حقيقة .. إنها خريطة !! صارحت الشبراوي في البداية لم يفهم مرادي لكن في اللحظة لتي التقط فيها الخيط .. بدأ يتراقص .. فور أن هدأ قلت له في ثقة:

- علينا أن نبحث عن كنيسة يجاورها مسجد بينهما مسلة.
- إننا هكذا نبحث عن قشة في محيط.
- لن يحدث هذا لو توجهنا لمنزل الشيخ عرجون.

منشية ناصر وأكوام القمامة وبيت عرجون المسقوف بالخشب .. توقفت أتأمل المكان على يميني جامع وعلى يساري كنيسة بينهما عدة بيوت واطئة لكن أين المسلة .. ربما رمز .. لا أدري .. الحيرة تفترسني والناس تستطلعنا

في ريبة ونحن نحاول فتح الباب .. لقد استولت عائلة " داغش " عليه .. غطي الخبر على كل تساؤلاتي الداخلية وأنا أطرق الباب بقبضة يدي .. بحذائي .. أطل من فوهة الباب مجموعة صراصير آدمية مقززة تؤمهم أنثي تحمل صرصاراً وليداً على يدها .. فور أن رأيتها صرخت صرخة مدوية:

- بره يا لصوص.

صرصار آخر بشوارب ضخمة يخرج من نفس فوهة الباب يستطلع .. لم تكن مهمة طردهم صعبة أو عسيرة طالما ركب الخوف والمال ظهرها .. بعد ساعات كانت مجموعة الصراصير تنقل متاعها وتغادر المنزل.

تجولت في المنزل بحوائطه المهدمة .. ببلاطه القذر .. لا شئ يثير الفضول فيما عدا حجرة خالية .. رفعت عن الأرضية كليم باهت الألوان.. لا شئ يثير الانتباه.. خرجت إلي صالة المنزل .. في تلك اللحظة طقت في ذهني فكرة سرعان ما أطلقتها قذيفة وأنا أصرخ:

- المسلة رمز لقدماء المصريين شقة الشيخ عرجون تعوم على بركة آثار.

وبدأنا الحفر في الحجرة الخالية وعلى بعد نصف متـــر ارتد الجاروف في يد شبراوي .. انحنـــي إلـــي الحفـــرة .. صرخ:

- نجحنا .. نجحنا.

أخيراً فهمت لماذا ربط الشيخ عرجون حيـــاة شـــبراوي بحياة الزيني .. فهمت أكثر من ذلك والقدر يرســـم خطـــوط مستقبل شبراوي كما تخيلته تماماً في روايتي القرد والأسورة في هذه اللحظة فقط قررت أن استكمل خيوط القصـــة التـــي توقفت عن كتابتها منذ شهور بعد أن أمســـكت يـــدي بـــأول الخيط.

٣١- قرر الشبراوي أن يسوّق بضاعته خارج الـــبلاد .. هناك أكثر أماناً .. وأكثر ربحاً وبالعملة الصعبة .. تذكر " بوصة " صديق له كان يمتهن نفس مهنته "قرداتي" .. قامته متناهية في القصر .. لذلك أطلقوا عليه بوصـــة .. غادر مصر إلي بيروت منذ أكثر من عشرة ســـنوات .. خلال هذه الفترة خبر دروبها وأسرار تجارتهـــا وكـــون ثروة لا بأس بها مـــن الأعمـــال الغيـــر مشـــروعه .. الصفقات المشبوهة والرقيق الأبيض .. في البدايـــة زاغ

بوصة من صديقه إلا أنه أمام إصراره التقاه .. رحب به عندما وعي هدفه .. بيْع أثر من آثار مصر الفرعونية.. تمثال من الذهب الخالص .. حاول بوصة استغلال مواهبه في النصب والاحتيال لكن شبراوي بخبرته قطع عليه الطريق بقولته:

- سألازم تمثالي أينما كان وتحت أي ظرف.

لم يفارقه لحظة وهو ينتقل به مع بوصة من تاجر إلي آخر وآخر المطاف عاد بنصف مليون دولار ثمن التمثال.

لم تستغرق عمليه التحول من قرداتى إلي مليونير سوي شهور معدودة باع خلالها جزء من الآثار التي خلفها الشيخ عرجون .. بعدها تنوعت أعماله افتتح جاليري في أرقي منطقة بمدينة نصر لبيع لآثار الحقيقية .. اشتري مجموعة مطاعم " البرش " أقام منتجعاً سياحياً في شرم الشيخ حصل على توكيل "روزرايس " .. اتسعت رقعة مشاريعه التي بدأت تضخ هي ومبيعاته من الآثار الملايين .. تحول خلال سنوات قليلة إلي واحد من رجالات الأعمال المرموقين على مستوي الشرق الأوسط .. يقطن قصراً من قصور ألف ليلة ينفق عليه شهرياً ما يقرب من مائة ألف جنيه .. يقتني

السيارات من كافة الأشغال والأنواع.. طائرة مروحية تنقلــه في رحلاته المكوكية .. تصدرت أخباره عناوين الصــحف مقرونة بتبرعاته الخرافية .. برامج التليفزيون تعرض جليل أعماله خاصة مشروع " القرد العملاق " .. فقد أزال عزبــة القرود بالكامل وأقام مكانها منتجعاً سكنياً لسكانه لا يفتــرق كثيراً عن المنتجعات السياحية في رونقه وإمكانياته.

سنين على هذا الحال من الكفاح المضني وهــو يصــعد السلم خطوة .. خطوة .. حرم نفسه من متع الدنيا لا امــرأة في حياته ولا نزهة خلوية .. ولا موسيقي .. ولا رقــص .. كل ما يجيده فقط هو العمل .. تأمل وجهة فــي المــرآه .. التجاعيد بدأت تحفر في وجهــه أخاديــد الــزمن .. اللــون الأبيض يتسلل إلي شعر سوالفه .. قرر أن يرفه عن نفســه يريد أن يلهو .. أن يستمتع بمباهج الحياة .. متلهــف علــى المرأة كيف هي وماذا هي .. لحمهــا الأبــيض .. شــفتيها ردفيها .. يري فيها القرد الذي رافقه سنيناً طويلة .. يرغب استئناسها .. تأتي بنفس حركاته .. نوم العــازب .. عجــين الفلاحة .. طربوش الأفندي حادث " الإنف " مدير أعماله .. كثيراً ما طلب منه تغيير اسمه .. هو فعلاً كذلك يأنف مــن

كل شئ حتى رائحة عرقه.. حدثه عن رغبته في التسري عن نفسه سأله الإنف في ذكاء:

- خصوصي أم عمومي ؟!
- خصوصي وعمومي في نفس الوقت.

انهي الإنف حديثه قائلاً في حماس متدفق:

- غداً أرتب لك قاعدة ملوكي!!

في اليوم التالي كان شبراوي يستقل سيارته وخلفه الأسطول السادس ثلاث سيارات حراسة وجهتهم ملهي " عش الغراب " هناك يستطيع أن ينهل من العري ما يشاء .. في هذه الليلة أغلق الملهي أبوابه أمام رواده لاستقبال شبراوي وحاشيته .. استأجر " الإنف "الملهي بمجاميعه.. فور أن وصل الشبراوي استقبله الدرمللي مدير الملهي..إنها المرة اليتيمة التي يزور فيها ملهي ليلي ليرفه عن نفسه خلال رحلته الطويلة مع المال..الدرمللي يصحبه إلي منضدة أعدت خصيصاً له في صدر الصالة..من هناك يستطيع أن يري ما ظهر وما خفي.

بدأ الاستعراض بالعارضات الروسيات .. شقراوات لا يخفين سوي شق القمر بشريحة من نسج الحرير .. الموسيقي

تعوي والأجساد تتطوح مثل فروع أشجار يهزهـــا إعصـــار والصدور تتأرجح والسيقان تتأوه لما تعاينـــه مـــن عربـــدة الحركة المتلاحقة .. شغف شبراوي بهذا العرض المثيـــر .. لقد فات من عمره الكثير وهو يدفن نفسه داخـــل الصـــفقات ودراسات الجدوى والسندات والأسهم بما تحمله مـــن أرقـــام وأعداد وبيانات .. أشار " للإنف " أسرع إليـــه مثـــل ســـهم يتطاير في الهواء.. همس في أذنه:

– بلبوص !!

في بداية الأمر لم يفهم لكن إصبع شبراوي الممتد نحـــو الراقصات حركه مثل خيط مع لعبة عرائس ..في بادئ الأمر رفض الدرملي خوفاً من رزالة مباحث الآداب.. لكن مـــا أن اعتلي المال بردعة الرفض حتى استسلم الجحـــش لمطالـــب الشبراوي.

الراقصات تؤدي العرض استربتيز .. الأجساد الزجاجية الشفافة تتلألأ تحت الأنوار الساطعة وعينا شبراوي تختـــرق مثل أشعة ليزر الجمال الكوني وجسده هو الآخر يتحرق شبقاً وهو يري لأول مرة في حياته نســـاء عاريـــات .. المـــرة الوحيدة التي رأي فيها العري كانت لموديلات خشـــبية فـــي

فترينة قبل أن يكسوها العامل بالملبس .. هو يعشق العري فالمرأة العاريه أكثر صراحة من غيرها .. لا تداري شيئاً ولا تخفي أمراً .. على عينيك يا تاجر .. لا غش ولا رياء ولا خديعة ما أدهشه حقاً ذلك التناسق الغريب بين الأجساد العارية .. مقاس الخصر والإلية والأرداف .. كل ثنائي فولة وانقسمت نصفين .. حتى لون الشعر .. والسيقان .. كأنهم نماذج أعدت على " ستمبه " واحدة.

العرض الثاني راقصة شرقية تؤدي رقصتها فتتخلع لها القلوب وتنفتح الجيوب هي لا ترقص بل تتغني برقصاتها .. أشار شبراوي للإنف نفس الإشارة .. لم يستطيع مدير الملهي إقناعها أو إجبارها على الرقص عارية أمام أعين الشبراوي لكنها بعد انتهاء نمرتها قامت على خدمته .. سألها بتغابي:

- راقصة لولبية مثلك كيف تخدم على مائدتي المتواضعة.

- شرف كبير لأي فنانة أن تخدم شبراوي مصر.

- عرفتيني ؟!

- وهل يخفي القمر .. صورك دايمـــاً منـــورة فـــي الصحف والتليفزيون.

- أقعدي.

جذبها من يدها .. ضايقها ذلك إلا أنها تحاملـــت علـــى نفسها وهي تتخير مقعداً أمامه .. سألها في حب استطلاع:

- إسمك ؟

- سهى.

- إسم جميل.

فجأة أشار شبراوي للإنف .. أسرع إليه .. سأله وهو يلـــوح بيده:

- أريد هذا القرد.

اندهش الرجل .. أي قرد يقصد؟بالتأكيد ما يقصده لـــيس قرداً حقيقياً ورغم أنه لم يفهم حقيقة هذا الطلب الغريـــب إلا أنه أجاب قائلاً:

- هو لك.

- كم يساوي؟

- الكثير !!

- سألتك كم يساوي ؟!

لم يكن أمام " الإنف " سوي سؤال شبراوي عن كنه هذا القرد . أجابه قائلاً:

- هذا الملهي دخل في نخاشيشى.
- نعد لك مثله خلال شهور.
- أريد هذا القرد وليس غيره.

الإنف في دهشة لإصرار شبراوي على هذه الصفقة .. سأل:

- لماذا ؟
- لماذا ماذا ؟
- لماذا وليس لنا دراية بمثل هـذه الأنشـطة التـي تحيطها الشبهات؟!

التفت شبراوي إلي سهى .. أجابه قائلاً:

- من أجل هذه القردة.

سهى لا تفهم .. لا تريد أن تفهـم .. إلا أن توصـيفها بقردة أفزعها نهضت غاضبة.. الإنف مازال في دهشـة .. أفرزها في كلمة:

- لماذا؟
- هذه المرأة شقت صدري وأمسكت بقلبي وضغطت عليه.

- صفقة خاسرة.
- تقصد المرأة أم الملهي.
- الإثنين معاً.
- إنني أشعر أنني ممغنط أمامها .. شئ ما يقــودني نحوها حتى لو كان إلي حتفي .. لا أستطيع دفعه.

سكت عاد .. مستطرداً:

- هاتها فوراً.

لحظات وكانت سهى في حضرته .. تمتم:

- قوم يا إنف .. إقعدي يا سهى.

الإنف محتجاً:

- شبراوي باشا !!
- قوم فز.

فور أن نهض الإنف تمتم شبراوي في صدق وهو يشير للملهي:

- هذا القرد كله يصبح من الآن ملكك بإشـــارة مـــن يديك.

ضحكت سهى .. استرسلت ضحكاتها همست:

- وأقول له يعجن عجين الفلاحة وينام نومة العازب.

- من اليوم انتهت أيام العزوبية.

تمردت معاني الكلمات على عقلها .. استحال الفهم على عتبة بابه .. رغم أنها حاولت جاهدة التوصل لبرقة تضئ ظلمة الكلمات ولفشلها الذريع حاولت استدرار المعني بكلماتها:

- العازب له الدنيا.
- والمتزوج!!
- له الآخرة من غير دنيا.
- لم تجيبي عن سؤالي.
- هو فيه ست في الدنيا ترفض قرد مولانا.

حتى هذه اللحظة لم يتأكد لها هدفه .. لكن بخبرتها وحتى لا تتهم بالغباء قررت أن تسايره في مضماره الغامض .. سكتت عادت مستطردة:

- والثمن يا مولاي؟!
- تتزوجيني.

نكتة وأي نكتة أن يتزوج مليارديرولیس مثل أي ملياردير براقصة !! .. لو طلب منها أن تؤانس وحدته أياماً وشهوراً فلن تتردد .. لكن مثل هذا الطلب غريب لا تتمثل

غرابته فقط في راقصة ومليارديز يرغب الزواج منها .. لقد طلب منها أن ترقص عارية من ملبوسها فرفضت ليس لأنها ترفض العري بل لأن عيوناً أخري ستري عريها مع عيونه .. ربما لو اختص نفسه بهذا الطلب ما أعلنت رفضها .. ثم فترة تعارفها .. إنها وجيزة .. غير كافية ليعرض عليها الزواج .. احتواها ذهول مريب عبقه صمت مطبق .. لم ترد عليه ليس لأنها ترفضه بل لأنها تفكر في مدلول هذا الطلب المفاجئ .. ما يطلبه مشروع .. يريد الزواج بها والمهر الذي يقدمه ملهي بأكمله .. طال الصمت قطعة الشبراوي قائلاً:

- تحت شرط.

شملها فزع رهيب أن يتراجع .. أن يضع شرطاً مستحيلاً إلا أنه أرسل لها إشارة طمأنينة بقولته:

- سيكون هذا القرد ملكك وإدارته لك.

سكت .. عادت تسأله:

- لم تحدثني عن الشرط.
- أن لا ترقصي بتاتاً.

عاد الصمت يلفهما .. لم يسمع الشبراوي رأيها استعجلها قائلاً:

- ماذا قلت ؟

ردت سهى في سعادة لم تسطع إخفائها:

- ليس قبل أن استأذنه.

سألها في شغف:

- أبوك؟

- أهم بكثير.

- أمك؟

- قلت استأذنه لا استأذنها.

- إذن هو أخوك.

- بل هو قدري.

- كلام غامض.

- أمهلني أسبوع واحد فقط قبل أن أعطيك الرأي النهائي.

٣٢- زواج العصر .. حضرة الرئيس وأعضاء مجلس الشعب والشورى ووزراء ورجال أعمال وسفراء ووجهاء .. عزفت الموسيقي السلام الرئاسي أحيا الحفل

فنانات ومطربين ورقصت " سفيرة " بلا ملبوس بعد أن عرضت كل قطعة من ملابسها في مزاد وارتفع سعر ورقة التوت إلي ربع مليون جنيه دفعها الرذاذ وزير الهم والغم .. بعد انتهاء الحفل سافرت سهى والشبراوي لقضاء شهر العسل في سويسرا عادا بعدها ليكملا مسيرتهما.

٣٣- احتواني الملل .. وماذا بعد؟! توقفت عن الكتابة فقد حققت لسهى أمنية غالية وللشبراوي طموحه .. لكن لا يمكن أن تنتهي القصة هكذا أمسكت بالقلم من جديد في بادئ الأمر عاندني لكن الإصرار حفزه على استكمال القصة.

٣٤- شبراوي مهموم .. أعماقه تغلي بذنب عظيم لقد أخذ ما لا يستحقه استشعرت سهى همومه سألته:

- كل هذا الهم لماذا ؟!
- أريد أن أعيد حقاً مسلوباً.

سألته في دهشة:

- حق من وإلي من ؟!

المشكلة التي تؤرقه كيف يعيد هذا الحق المسلوب .. لقد حاول ذلك وهو يتبرع لعشرات الجمعيات الخيرية .. لكنه حتى الآن لم يستطيع تحقيق التوازن النفسي.. يريد أن يتطهر لكن كيف ؟! لو اعترف بهذا الكم الهائل من القطع الأثرية المهربة لن يسلم من أنياب جرائد المعارضة .. حرامى آثار .. لص في صورة عصامي.. وربما يقضي هذا التشويش على إمبراطوريته الاقتصادية .. أيام مرت دون أن يغمض له جفن كيف يعيد هذه المسلوبات دون أن يمسه أذى أو تلطخ ثوبه نقاط سوداء .. تحدث مع مدير مكتب وزير الداخلية .. هدف المكالمة تحديد ميعاد مع الوزير .. في الموعد المحدد كان يجلس في صالون مكتبه .. دقائق وقبل أن يكمل احتساء فنجان القهوة استقبله الوزير .. صافحه .. جلس أمامه وبعد التحيات والسلامات المعتادة في مثل هذه الأمور همهم شبراوي في صوت واثق:

- أنا هنا يا معالي الوزير لأرد جزءاً من دين عليّ لوطني.

رد عليه الوزير في دهشة:

- استغفر الله يا شبراوي باشا.

- لقد قمتم بمعجزات لحماية البلد من الأفاعي والثعابين.

- كل هذا بفضل تعاونكم.

أخرج شبراوي شيكاً من جيبه موقع .. تمتم قائلاً:

- هذا شيك بمبلغ مائة مليون جنيه أرجو صرفه لرفع معاناة أولادنا في الشرطة الذين يكافحون من أجل تدعيم أمن وأمان المواطن.

فوجئ الوزير وهو يتأمل الشيك .. المبلغ ضخم جداً .. جداً .. كما لا يوجد فيه اسم المستفيد .. لم يفت عليه ذلك صارحه قائلاً:

- لكن بيانات الشيك ناقصة.

فهم شبراوي ما يقصده الوزير .. قاطعه قائلاً:

- تركت بيان الساحب لتحديده بمعرفتكم حسب الأولويات التي تراها الوزارة.

- هذا كثير جداً يا شبراوي باشا.

- وهذا أقل القليل يا معالي الوزير.

سكت .. نهض .. تمتم:

- استأذن في الانصراف.

الوزير مدهوش .. مائة مليون جنيه خبطة ثقيلة .. هذا الرجل يستحق حضن كبير .. صافحه .. احتضنه .. قبله .. وقبل أن يفتح له باب الحجرة همهم له شبراوي:

- لي رجاء واحد.
- تأمر يا شبراوي باشا.
- أريد أن التقي بالرئيس.
- سأخبره فوراً بأخبار هذه الهبة التي تفضلت بها على الشرطة.
- لا يا صديقي .. أريد التحدث معه في موضوع آخر بعيداً عن تبرعي.
- سأنقل له رغبتك في لقائه وسأدعمها.

ودعه .. صحبه لواء شرطة إلي المصعد وحتى باب الخروج من وزارة الداخلية.

٣٥- صوت هيام سكرتيرة شبراوي يموج بالدهشة:

- رئاسة الجمهورية.

سألها شبراوي في استغراب:

- مالها.

هذه المرة تذبذب صوتها وهي تردد قائلة:

- فواح بك سكرتير الريس على التليفون.

تحدث إليه .. الحديث قصير .. انتهي بتحديد ميعاد مع الرئيس.

الزمان الثانية عشر ظهراً .. المكان استراحة الرئيس في القناطر الخيرية .. قبل ميعاده كان يعبر بوابة القصر .. في إحدى حدائقه الغناء جلس في انتظار الرئيس رآه قادماً نحوه بصحبته "فواح" .. بين أصبعيه سيجار هافاني في حجم صابع كفتة ينفث دخانه .. صافحه .. تجالسا .. عادي .. حتى هذه اللحظة تسير الأمور سيرها الطبيعي الهادئ المطمئن .. لقد استبد به القلق قبل لقائه .. تمكنت منه هواجس كثيرة .. كيف يلتقي بالرئيس وكيف يتحادث معه .. لكن ما أن رآه حتى راح قلقه يغب في بحر البلاهة .. الرئيس مثل أي شخص عادي .. المهم هو أسلوب التعامل معه .. لقد علمته حرفة القرداتي الكثير عندما كان يلاعب القرد "أرقص .. أرقص يا ميمون" .. "نوم العازب" .. "عجين الفلاحة" .. عله لا يختلف كثيراً عن هذا العالم الغامض .. فهو إما أن يكون قرد أو قرداتي .. مع وزير الداخلية كان هو القرداتي والوزير القرد واليوم لن تتغير

الصورة سيكون أيضاً قرداتي مع هذا الرئيس المتعجرف .. مرت فترة صمت قصيرة قال بعدها الرئيس من فتحتي منخاره:

- كيف حال أخونا شبراوي.

شبراوي بدون ألقاب .. بدون باشا حتى بدون بيه .. الرئيس بدأ بالمناورة .. يريد أن يكون هو القرداتي الذي يلاعب القرد إلا أن عبارة شبراوي وهو يرد عليه "حالنا من حالك يا ريس .. المهم سيادتك .. إنت بخير .. كلنا بخير" أعادت الأمور لنصابها لحين وعبرت عن فشل الرئيس في ممارسة مهنة القرداتي عليه وهو يتمتم له:

- البطران قال لي إنك تبرعت بخمسين مليون جنيه للصندوق الاجتماعي لضباط الشرطة .. وكلنا ممنونين لهذه البادرة الطيبة.

على لسان الشبراوي إن المبلغ مائة مليون وليس خمسين .. إلا أنه فضل الصمت على الكلام وهو يتساءل لأي جيب ذهبت الخمسين مليون الأخرى .. البطران أم الرئيس .. لو أثار هذا الموضوع ستحدث مشكلة كبري لا يدري أبعادها مع الداخلية أو الرئاسة .. استعاد الشبراوي نفسه من شردته

القصيرة وعاد إلي جلسته مع الرئيس وهو مازال مصراً على لعب دور القرداتي الذي تفوق فيه بكلم قليل:

- هذا أقل القليل يا سيادة الرئيس.

- يا حبذا لو حذا رجال الأعمال حذوك في مساعدة الآخرين.

- وهذا ما حدث يا ريس .. فقد تكونت جمعية من رجال الأعمال اشترك فيها كثيرون ممن يؤمنون بالهدف الذي تحدثت عنه وقد رصدت هي الأخرى مبلغ مائة مليون جنيه تحت تصرف رئاسة الجمهورية تنفقها هي الأخرى في أوجه الخير.

في البداية لم يرق هذا الحديث للرئيس الذي عقب عليه في ضيق متسائلاً:

- ولماذا رئاسة الجمهورية؟!

- لأنها أكثر دراية منا فيما ينفع المواطنين..ربما يخصص جزء منه للمعاقين من رجال القوات المسلحة الذين أصيبوا في الحروب المتتالية لمساعدة عائلات الشهداء والباقي لتجديد وإحلال مستشفي المعادي العسكري.

الحديث مقنع وجذاب .. على شطيه يحمل معـــاني التقـــدير لرجال القوات المسلحة.. لهذا كان تعليق الرئيس مطمئنـــاً .. معززاً له:

- والله فكرة أنيقة وطيبة.

- يا ريس..هذا كله من خير الوطن نرده له .. فلولا القرد ما كان القرداتي.

ضحك الرئيس .. سحب نفساً من السيجار .. نفث دخانه .. قال متسائلاً:

- وانت موقعك فين؟!

- أنا القرداتي !!

- والقرد ؟!

سأل الرئيس في فضول .. إرتبك الشبراوي .. لم يكـــن ينتظر سؤالاً بهذا التحديد لكنه زاغ منه بقولته:

- هذا التبرع دين علينا نحن رجـــال الأعمـــال وآن أوان سداده.

الرجل دخل في خياشيم الرئيس .. استنشقه جيداً وقبـــل أن يخطو الشبراوي خارج الحديقة كان الرئيس قد اتخذ قرار هاماً غير معلن ولم يتبقى سوي طلب ملف الشبراوي لإعلان الخبر.

٣٦- " فواح "سكرتير الرئيس يطلب الشبراوي على التليفون الأحمر يطلب منه الحضور لرئاسة الجمهورية بعد غد الساعة الواحدة لحلف اليمين .. احتواه فزع هائل .. لحظات وهو صامت .. عاجز عن النطق .. خيل لنفسه أنه أصبح في عداد الأموات وفواح يردد:

- سعادتك سامعني.
- نعم .. نعم.

في لحظة انتشل نفسه من أمواج هائلة تتقاذفه .. سأل فواح سؤالاً مباشراً:

- حلف اليمين لأي منصب ؟

رد عليه فواح:

- ستعرف في الوقت المناسب.

أغلق الخط .. لا كلمة .. لا حرف .. أمواج الحيرة تلطم شبراوي .. اللطمات شديدة .. عنيفة دوامتها تسحبه إلي الأعماق .. يريد الخروج منها بإجابة .. إجابة واحدة عن كنه هذا المنصب .. ربما منصب وزير ربما مكان رئيس الوزراء الذي أقيل منذ أيام .. ربما رئيس إحدى الهيئات

الحكومية .. ربما .. تكاثرت هذه الربما .. توالـت دون أن يصل لإجابة واحدة.

للحظات تمنطق الشبراوي كرسيه غيـر مصـدق .. أو غير آبه لكن في اللحظة التي تأكد فيها من حقيقة ما سـمعه قفز قفزات هوائية .. قرد يتسلق الأغصـان .. ينتقـل مـن غصن لأخر .. أسرع إلي حجرة الزيني لقد خصـص لـه حجرة بمربية تطعمه وتسقيه وهو يصرخ صـرخة طفولتـه خضراء:

- العب .. العب يا ميمون .. اعجن عجين الفلاحـة .. نام نومة العازب.. إلبس طربوش الأفندي.

القرد يلعب .. يأتي بحركاته البهلوانيه .. أمامه شبراوي .. فرح تغمره سعادة لا نهائية .. يحضنه .. يلقمـه إصـبع موز يستطرد قائلاً:

- أنت وش السعد والهنا.

يقبله .. يهمهم لبدور المربية:

- صابع موز تاني.

يأكل نصفه يلقم النصف الآخر للزيني يهمس له:

- أنا .. أنا خلاص عديت يا زيني.

استطرد قائلاً " لبدور ":

- شربات يا بدور لكل الموظفين.

سألته في فضول:

- خير يا باشا؟!

- خير بالقوي.

أسرع لحجرة مكتبه .. استقامت هيام من جلستها .. همهم لها:

- ألغي كل مواعيد اليوم وكل المكالمات .. أريد الانفراد بنفسي.

سكت عاد مستطرداً:

- وشهر مكافأة لكل الموظفين.

هي الأخرى سألته مثل بدور في حب استطلاع.

- فرحنا معاك يا باشا.

- يا خبر بفلوس بكرة ببلاش.

أغلق حجرة مكتبه .. في داخلها على كرسيه يستعيد أحداث الماضي .. سبع سنوات مرت منذ اللحظة التي عثر فيها على أول تمثال أثري .. كيف كان وكيف أصبح والمستقبل الذي ينتظره .. رفع سماعه التليفون تلفن لسهي ينبئها بالخبر السعيد.. اللحظة يريد الانفراد بنفسه ..

يحاورها يناقشها يعيد حساباته معها ينظر في أمرها هل هو في الطريق السليم .. أم حاد عنه .. إنه يهيم بالسلطة لا يهم نوع المنصب طالما أنه داخل دائرتها .. لقد كان شغوف بها وهاهي تأتيه طواعية بلا إجبار أو إكراه .. اليوم هي تداعبه .. تحتضنه .. تهمس له .. تمدد على الشازلونج أطلق لخياله العنان .. ماضيه .. قردادتي .. وقبلها متطوع عريف في سلاح الطيران .. سرح من الجيش بعد سبع سنوات خدمة .. عاصر معركتين حربيتين انهزم الجيش في كليهما رغم ادعاءات النصر في الأخيرة .. الناس لا يعرفون عنه سوي الرأسمالي .. رجل الأعمال الناجح الشريف السخي .. ماضي ناصع الابيضاض .. لم يرتكب معصية رأسمالية واحدة ولم تزل قدمه مثل آخرين في قروض أو صفقات غير مشروعة.

عاد إلي منزله .. طيور تتراقص داخله .. فور أن التقي بسهي سألته عن المنصب .. لا يعرف .. ربما وزير .. ربما رئيس وزراء ربما منصباً أهم .. هو لا يعرف .. رغم هذا فلم يتوقف رنين التليفونات حتى الصباح .. وفي الصباح

كانت مانشتات الصحف تعلن أن الشبراوي مرشحاً لـــوزارة المالية.

بل وأفردت صحيفة الدنيا صفحة كاملـــة تتحـــدث عـــن البطل الذي أصيب في حرب ٧٣ في قدمه إصابة بالغة أثناء إحدى العمليات العسكرية وهو نفسه الذي أصبح مـــن أهـــم رجال الأعمال الذين يتبرعون لأوجه الخيـــر .. مستشـــفي الصفا للمعوقين.. ودار فسدق للأيتام .. وأكثر من مدرســـة أقامها من مالة الخاص أطلق عليها مدارس شبراوي.

أطول يوم التاريخ مر عليه .. لا يعرف كيف مر وهـــو ينتظر بين كل آونة وأخرى أن يدق التليفون ليلغي الموعد .. انتهي اليوم بسلام .. في صباح الغـــد .. الســـاعة التاســـعة صباحاً دق التليفون .. ارتفعت مع رناته دقات قلبـــه .. بـــل ربما هبط إلي أسفل سافلين .. المتحدث فواح .. كلمات فواح أعادت الثقة إلي نفسه:

- الرئيس طلب مني التأكيد على الموعد اليوم الساعة الواحدة ظهراً.

الواحدة إلا ربع كان الشبراوي ضيفاً في صالون رئاسة الجمهورية وحده دون أحد معه .. لم يخف دهشته وهو يسأل فواح:

- وأين الباقين ؟!

رد عليه فواح في سخرية فكيهة:

- خرطناهم للوز.

أمسكت به الهواجس مثل خرقة لينه في قبضة تضغط عليها وتضغط .. إذا كان اختياره ضمن التشكيل الوزاري فلماذا شرف وحده ؟! لم يطل به التفكير .. دخل فواح بصحبته رئيس المواسم سلمه ورقه .. قرأها أعاد قراءتها لا يصدق نفسه.. لا بد وأنها مزحة أو لعبة من ألعاب الكاميرا الخفية .. لا يفهم .. لا يعلم صحبه رئيس المراسم إلي البهو الواسع .. أخذ يردد العبارة المدونة بالورقة المرة تلو الأخرى .. بصوت خافت .. لا يعلم .. لا يدري .. إلا أنه كان يبدو متماسكاً والرئيس يستقبله يصافحه .. يبتسم .. يتمتم في صدق:

- الناس هيمانة بك يا شبراوي.

في البهو بدأت مراسم تنصيبه .. الرئيس في مواجهته .. الشبراوي يقرأ الورقة في صوت جهوري.

- أحلف بالله العظيم أن أحافظ على النظام الجمهوري وأن أرعى مصالح الشعب وأحقق أمانيه.

خرج الشبراوي رجل الأعمال القرداتي الشاويش من رئاسة الجمهورية نائباً للرئيس .. أكثر ما كان يتوقعه أن يتقلد منصب سفير أو وزير لكن نائب الرئيس هذا لم يكن أبداً في الحسبان.

٣٧- أصابني الإرهاق .. بعد أن أصبح الشبراوي نائباً للرئيس وسهي زوجة نائب الرئيس .. تغير منهج حياته .. اشتري قصراً في مصر الجديدة .. قاتل من أجل توسعة القصر حتى وصلت مساحته لخمسين فداناً .. بدأ في أعداده .. حمام سباحة وملاعب راكيت .. وأسطول سيارات .. كان عليّ بعد أن استقرت الأمور أن أخلد للراحة فترة استجمام أتوقف خلالها عن الكتابة .. استعيد نشاطي الذهني.. الجو ملتهب بحرارة يونيو .. شرم الشيخ المكان الوحيد الذي أستطيع فيه أن ألملم شتات نفسي..أستعيد حيويتي الذاهبة..اترك لشخصيات روايتي

حرية الحركة..هو أسلوب الخالق يمنح مخلوقاته حريـــة الاختيار فيما لا ترسمه ريشته.

في شرم الشيخ اختليت بنفسي .. كنت أشـــعر بســـعادة طاغية لقد أصبح الشبراوي نائباً للرئيس وغداً هذا ليس ببعيد سيصبح رئيساً .. لكـــن كيـــف .. لا أدري .. لا أســـتطيع استنطاق الأحداث لكن ما فعلته جدير بالاحترام.

وأنا أمارس رياضة الغوص .. رياضتي المفضـــلة .. تلامست ساقي بجسم غريب..لم يكن سوي سهي ..فاجـــأتني ..أسعدتني المفاجأة ..سألتها ونحن نسبح:

- صدفة.
- أبداً.
- كيف وصلت إليّ.
- البواب والشغالة وسايس الجراج.
- أمر طبيعي لزوجة النائب أن تحقق ما تريده.

في مكان بعيد على شط صخري .. تجالســـنا .. ســـهي بامتنان تعبر عن دواخلها:

- ما حدث لي وللشبراوي أبعد عن التوقع.
- الشبراوي أقدر من غيره على قيادة السفينة.

- وأيضاً زوج مثالي.
- أحببتيه.
- المشكلة إنه ما زال يمارس لعبة القرداتي.
- وكل من حوله قرود ؟!
- وأنا أولهم.
- شبراوي محتاج وقت حتى يتخلص من هذه العقدة.

حمحم الصمت .. قطعت أحباله باستطرادتي:

- لكن لازم تفهمي إن ضميره لو انحرف أو حاد عن طريق الصواب سأسقطه حتى لو كان في سابع سما.

لذنا بالصمت من جديد عدت مستطرداً مؤكداً:

- وحذارك أن يعرف قصتي معك أو مع أحد غيرك.
- سرك في بير .. لكن لـــي رجــاء أرجــو أن لا تخذلني.
- أنا أخذلك ؟!

قلتها في استنكار.

- الليلة أنت مدعو للاحتفال بتنصيب شبراوي نائبـــاً للرئيس.
- ربما يثير حضوري فضول البعض.

- لا تقلق .. عامله حسابي.

وقبل أن تخطو مبتعدة عني بالمايوه الأزرق .. همست:

- منتظراك .. لا تتأخر.

٣٨- حفلة فيحاء .. التقت فيها السلطة مع المال .. سالت فيها الخمر جداولا .. وتعر ض فيها النهود .. وحملقت العيون تحاول استكشاف مكامن الجمال خلف كل ملبوس شفاف .. ابتسامات زائفة وضحكات عارية لنساء وأبكار .. ليلة استمر صخبها حتى الصباح أحياها فنانات وراقصات تكتب عنهم الصحف أعمدة ومانشيتات الكل يثني على الخطوة التي أقدم عليها الرئيس وهو يعين الشبراوي نائباً له .. لقد أرضي كافة الأطراف المتصارعة .. العسكر وقد نصب واحد منهم والمدنيين وهو يقلد أحد رجال الأعمال المنصب الثاني في الدولة.

لقد شارفت قصتي على نهايتها .. على أن أبحث عن قصة جديدة .. أين أجدها ربما أعثر عليها وسط أكوام سباخ زرائب الفلاحين أو صفيح أكواخ عزبة القرود.. زهدت الكتابة عن هؤلاء القوم الذين يفطرون الكرواسو والباتيه ويتغذون بلحم الغزال حتى القصور التي يقطنوها لا يطيق

قلمي الحديث عنها .. فالقلم مثل الإنسان يحس ويشعر ويتألم ويحزن ويسعد ويغني ويفرح ويزغرد .. تفتق ذهنـــي عـــن فكرة وأنا حائر في بحر التساؤلات حول موضـــوع قصـــة جديدة .. شيق .. مثير .. لماذا ألا أكتب عن عالم الحمر .. هذا الحيوان الغامض المستكين المستعبد مثله مثـــل شـــعوب العرب .. مادة خصبة .. ربما توصلني الخوض فيهـــا إلـــي وجود علاقة وثيقة بين الإنسان العربي وبين الحمار وربمـــا انتهي فيها إلي أن أصل العربـــي حمـــار قبـــل أن يتطـــور لصورته الحالية لكن كان أمامي صعوبة .. عقبة .. فالحمار لا يملك الضمير الذي أحرك به الإنسان.

٣٩- التليفون يدق .. رفعت سماعة التليفـــون .. صـــوت سهي منتحياً.

- مصيبة .. مصيبة.
- خير.
- لا بد أن ألقاك وفوراً.
- أكيد الأمر خطير.
- أخطر مما تتصور.
- ومكان اللقاء.

- استراحة المعمورة.
- استراحة المعمورة وأنا في مصر.
- بعد ربع ساعة ستجد سيارة في انتظارك أمام باب العمارة.
- وأنا في الطريق الصحراوي حاصرتني الهواجس .. أية ورطة تلك التي دفعت سهي لطلبي بهذا الاستعجال .. ربما خلاف نشب بينها وبين الشبراوي ربما مشكلة تعرض لها شبراوي .. لم أخفي قلقي وأنا التقي بسهي في الاستراحة .. أتتني المفاجأة من العيار الثقيل .. لقد قرر الشبراوي الاستقالة والأسباب أنه رفض الاشتراك في مؤامرة لاغتيال بعض قادة الجيش لتورطهم في مشروع انقلابي ضد الرئيس. لقد أعلن الشبراوي رفضه لهذا المخطط واقترح القبض عليهم ومحاكمتهم .. سألتها في دهشة ممزوجة بالأسف:
- وماذا بيدي لأفعله.
- غيّر الأحداث.
- أية أحداث.
- غداً ستنفجر بقادة الانقلاب طائرة هيلكوبتر تقلهم.
- وتريدين منى تحذيرهم.

- على الورق !!
- لن أستطيع حيال هذا الأمر شيئاً.

بكت سهي .. من خلال دموعها همهمت في أسي:

- لقد كتب الشبراوي الاستقالة وسيقدمها للرئيس.
- أمنعيه حتى ولو أدي بك الأمر إلي إعطائه منوماً .. أو سافري معه لأوربا تحت حجة إصابتك بمرض عضال فأنا أريد مزيداً من الوقت لترتيب أوراقي لأمسك بالخيط من جديد.

وانتهي لقاءنا وسهي غير راضية .. تظن أنني مقصر نحو شخوص قصصي .. عدت إلي القاهرة في نفس اليوم .. لم أنم .. ظللت ساهراً .. عقلي يصول ويجول باحثاً ومنقباً .. ومسترجعاً الأحداث .. في محاولة يائسة للعثور على نبع الحقيقة .. القصة التي خلت إنها انتهت لم تكتمل فصولها بعد .. بدأت الأحداث تغويني لمعانقتها بقلمي .. أمسكت به .. متوتر .. يخفق على الصفحات مثل علم يرفرف بالانتصار .. لكن سرعان ما أمزق تلك الصفحات لقصاصات صغيرة .. ليلة ليلاء مرت بي وقبل أن ينبلج الصباح دق جرس التليفون .. المتحدث سهي في صوت محبط:

- لقد فعلها .. انفجرت الطائرة بعشرين جنرالاً.

كانت تحدثني وقد أعدت حقائبها للسفر إلي فرنسا هي والشبراوي قرأت الصحف.. كلها تشي بالكذب .. الطائرة اشتبكت بأسلاك الكهرباء ونتج عن الاشتباك انفجارها .. لم يكن تفاصيل الخبر صحيحة بل الصحيح أن قنبلة انفجرت في مؤخرة الطائرة وقتل كل الجنرالات قبل أن ترسو الطائرة على الأرض .. استقبلت الجماهير الخبر بكثير من الشكوك والريبة .. لكن لا أحد يستطيع أن يعلن عن شكوكه .. أمسكت بالقلم .. عجينة بين يدي أشكلها كما أشاء وأنا أخط الصفحات.

سهي تصرخ في الشبراوي محتدة:

- استقالة لا.

- لا يوجد حل آخر أمامي إما أن اندمج مع النظام والمؤامرات أو أذهب بلا رجعة.

- أصبر .. ربما تأتي الرياح بما تشتهي السفن.

- لا رياح ولا سفن .. استقالتي في جيبي.

- أجلها لغاية ما نرجع من باريس وتطمئن على.

- تأجيلها ليس له أي معني.

- قبل ما تستقيل لازم تستشير الريس.
- هو أنا قاصر.
- أسلوب الصدام سينتهي بك نهاية غير سعيدة.
- لن يستطيع أحد أن يمس شعره في رأسي.
- شعره لا .. لكن رأسك ممكن.
- هي فوضي.
- وأنت خارج السلطة سينهشون لحمك .. أرجوك .. أرجوك يا شبراوي لا تتعجل في تقديم الاستقالة .. أنا خايفة عليك.
- لا تخافي على القرداتي من القرد.
- أخاف عليه لو كان القرد مسعور.
- يبقي علاج عضته ثلاثة حقن.
- لن تحصل عليها وستموت بحسرتك.
- الخلاصة يا سهي.
- انتظر لغاية ما نرجع من باريس.
- بعدهالك يا سهي.
- عشان خاطري.
- المسألة ليست خواطر بل مبدأ.

- اتلهي.
- انت قليلة الأدب.
- القرداتي قرداتي حتى ولو علقوا في رقبته فانوس.

٤٠- فور عودة شبراوي من باريس طلب الرئيس لقائه .. الإثنان في حديقة استراحة القناطر يحتسيان القهوة .. بعد التحيات والسلامات احتواهما صمت عميق لا يقطعه سوي رشفات الشفاة للقهوة قبل أن ينهي شبراوي احتساء فنجانه قال له الرئيس في لهجة تشفي وانتصار:

- إنت حاسس بوجع في بطنك ؟!
- لأ .. لكن السؤال دا ليه ؟
- لأن انت شربت سيانور.

قذف الشبراوي بالفنجان .. استبد به القلق .. انتابه المغص .. ضحك الرئيس استكمل قائلاً:

- لازم تفهم أن موتك أسهل عندي من موت كلب.

أشار بيده لأحد حراسة .. أسرع الحارس بتقديم طعام لأحد الكلاب التي يعج بها المكان .. دقائق .. بدأ الكلب يتلوى .. يصدر عنه أنين .. هو أنين الموت .. لم يمر وقت طويل حتى فارق الحياة.

الرئيس يشير إلي الكلب محادثاً شبراوي:

- هذا هو مصير أي واحد يعترض طريقي.

الشبراوي يزداد انكماشاً داخل سترته والرئيس يستطرد قائلاً:

- يا شبراوي ضروري تعرف إن أنا لا أقبل استقالة من أي جحش لكن أقيله.

- عارف يا ريس.

- ولما أنت عارف قدمت استقالتك ليه ؟!

- طقت في مخي.

- يا شبراوي لازم تعرف لو أنا رحمتك من الموت أقدر أحطك في السجن خمس سنين .. عشرة .. ويمكن عمرك كله.

- عارف يا ريس .. ربنا فوق وسيادتك تحت .. وإذا كنت غلطت صوّبني .. إنت قاموس في السياسة وأنا يا دوب سطر .. بل حرف .. جنبك أنا فراشة صغيرة تستلهم نورك .. وبمرور الوقت ممكن اكتسب الخبرة بمساعدتك.

- لهجة جديدة يا شاويش شبراوي.

- أبداً يا ريس .. هي نفس اللهجة لكن المشكلة في قلة الفهم.

- عارف سبب استدعائك.
- الجواب باين من عنوانه يا ريس.
- أولاً استقالتك مرفوضة .. ثانياً أريد منك أن تثبت ولائك.
- أنا تحت أمرك لو طلبت مني الاستقالة من الحياة لن أتردد لحظة.
- من الآن وصاعداً معارضة لا.
- ينعل أبو المعارضة.

راح الرئيس في تفكير عميق .. حك جبهته بأصابعه .. ربما ليستنهض الأفكار قال بعدها:

- عارف إن أنا أنقذت رقبتك من حبل المشنقة.
- رغم أنني لا أفهم ما ترمي إليه إلا أنه لا يسعني سوي تقديم الشكر والعرفان.
- عارف فين مكانك لو كان الانقلاب إياه نجح.
- عارف .. السجن.
- غلطان .. أقله إعدام.
- هو فيه أكثر من الإعدام.

- حسب نوعه .. إعدام على الحامي أو إعدام على البارد .. إذا كان على الحامي يبقي إعدامك سيتم بالتعذيب حتى الموت .. أما البارد فسكيتى تتدفن حي.

سكت الرئيس راح في استغراقه طويلة قال بعدها:

- اسمع يا شبراوي.
- كلي آذان صاغية.
- عندي سؤال محيرنى وانت معي سمن على عسل عن سبب اعتراضك على المذبحة.
- يا ريس إنت فهمتني غلط بدل المذبحة ما تبقي دموية تبقي دنيوية نقبض عليهم ونحاكمهم ونسجنهم.
- أنا اتغديت بهم يا شبراوي قبل ما يتعشوا بنا.
- خير ما فعلت.
- صافية لبن.
- حليب يا قشطه.
- كل ما أريده أن تتعاون معي.
- جرب.
- فيه عظمة محشورة في زوري.
- نطلعها.

- من غير تضحيات.
- ولا خدش لزورك.
- التفاصيل كلها عند سامي أقعد معاه ونفد.
- أمرك يا ريس.

نهض الرئيس .. استقامت قامة الشبراوي قال في صوت خفيض:

- استأذن إلا إذا كان لسيادتك أوامر أخري.

ضحك الرئيس .. شد نفساً من السيجار الهافانى .. همهم وهو يصافحه:

- سلم لي علي مراتك سهي.

عند خروج الشبراوي من بوابة الاستراحة أحس أنه ولد من جديد وأن مصيره أصبح بين يدي الرئيس .. ولأول مرة يشعر إنه القرد .. في سيارته عائداً إلي بيته كان يلوم نفسه في قسوة .. لماذا قبل هذا المنصب .. لقد دخل دوامة السلطة وليس سهلاً أن يخرج منها .. لقد كان يحيا حياة هادئة مطمئنة فلماذا دخل عش الزنابير وهو نملة صغيرة لن تمر شهوراً إلا ويصبح واحداً من فرائسها .. لقد كان في انتظاره السم أو أمراً بالقبض عليه ليودع السجن إلي ما شاء الله مثل

آلاف المعتقلين .. تفكر ماذا يفعل وقد أطبقت عليه كماشة السلطة.. تقبض عليها يد هذا الرجل الجهنمي الذي يتحكم في خلق الله .. عاد إلي البيت محبطاً .. سهي في انتظاره .. فور أن رأته سألته في لهفة:

- الريس قبل استقالتك.
- لا ... لا .. لا.

تنفست الصعداء .. تمتمت:

- الحمد لله.

لم تكن تريد أن تسمع سوي كلمة واحدة " لا " وسمعتها مكررة ثلاث مرات لا يهم بعد ذلك التفاصيل .. كيف ولماذا .. لا يهم أي سؤال طالما الشبراوي مازال يحتل مقعده في رواق السلطة .. سألته في ميوعة:

- تتعشى؟!
- أتعشى قزازة ويسكي.

يريد أن يسكر .. أن يغيب عن الوعي حتى لا يفكر في الغد الذي ينتظره لقد وضعه الرئيس في مأزق .. العظمة التي في زوره ليس سوي أبو فصادة .. يطلب منه تصفيته .. الرجل قوي .. له عزوة .. ورجال تأكل الزلط .. وخلفية

سياسية .. كيف بتوجيه ضربة استباقية ضده وعيونه منتشرة في كل مكان .. لماذا وقع اختيار الرئيس عليه .. ربما لأنــه يثق في قدراته فهو قرداتي .. ربما لأنــه الوحيــد الــذي لا يتوقع منه أحد التخطيط لمثل هذه الضربة الاستباقية فهو بعيد تماماً عن بؤرة التآمر والمتآمرين .. لقد وضعه الرئيس فــي حنك السبع وعليه أن يهشم أنياب هذا السبع .. ربمــا يــدفع حياته ثمناً لو فشلت المؤامرة لحظتها ستتم محاكمتــه ولــن يرحمه الرئيس سيكون أول من يوجه إليه الاتهام حتى يبعــد عن نفسه شبهة التواطؤ .. لكن ما هو البــديل .. التراجــع مستحيل .. مصيره زجاجة بل نقطة سم فــي مشــروب أو سجن مدي حياة الرئيس أو علي أحسن الفروض تحديد إقامته ومصادرة كل أمواله وربما ينتهي الموضوع بتوجيه اتهام له في قضية مال عام .. شبراوي في مأزق .. الخــروج منــه مستحيل والأقدام عليه يحمل الخطر في طياته.

غب شبراوي من الخمر ما شاء .. أسكره السائل الذهبي في نفس الوقت الذي كان واعياً بالأحداث .. تفتح مثل زهرة غضة على أشعة الشمس تهاوت عليــه الأفكــار تضــرب وتضرب .. مثل هراوات .. مثل مسامير تغز وتغز .. ليس

أمامه ثمة اختيار لتوجيه الضربة .. توجيهها حتمي .. ضروري لا فكاك منه .. لكن من يستحقها .. أبو فصادة أم غيره .. ضمت سهي رأسه إلي صدرها .. صدرها متوثب حنون .. تدفقت عليه فيض مشاعرها وهي تهمس له:

- مالك؟!
- مصيري مظلم إذا لم أنفذ ما يريد الريس.
- نفذ.
- يا سهي أن ما يطلبه مستحيل.
- ضحي حتى بنصف ثروتك.
- الفلوس أمرها سهل .. طالب مني أدخل حنك السبع.
- أدخل ومعاك شوكة .. سيف .. بندقية .. مدفع آربجي.
- يا سهي انت لا فاهمة ولا عارفة النتائج لو فشلت العملية .. أعلق كما الذبيحة عند الجزار.
- الحل إنك تنجح في مهمتك.
- وجايز تكون مؤامرة للتخلص مني .. قادر .. جهنمي.

رغم إن شبراوي اتخذ قراره قبل أن يبدأ حديثه مع سهي إلا أنه كان يتحدث مع نفسه بصوت عالي مستغلاً سهي في الحديث .. وحديث طويل لم يفصح الشبراوي خلاله عن كنه المؤامرة أو إبعادها أو تفاصيل تخطيطها .. لكن بعد إنتهاء الحديث كان الشبراوي قد بصم على قراره .. حتمية الضربة في موعدها لكن ضد شخص آخر.

٤١- بدأت الاستعدادات على قدم وساق .. سامي درباله ومجموعته يضعون اللمسات الأخيرة للخطة مع شبراوي .. الطائرة التي تقل أبو فصادة في رحلته لموسكو تهبط اضطراريا في مطار الأقصر وهناك يتم التعامل مع أبو فصادة ومرافقيه لحظة مغادرتهم الطائرة وإمعاناً في التمويه والخداع وذر العيون يقوم الرئيس في نفس اليوم بزيارة الإمارات بناء على دعوة سابقة من الشيخ زايد وبالتالي يثبت للرأي العام أن الرئيس ليس ضالعاً في المؤامرة فقد تمت أثناء غيبته وأنه برئ منها براءة الذئب من دم بن يعقوب .. لم يكن هذا الفصل الأخير مخططاً ضمن سيناريو التآمر لكن شبراوي القرداتي استطاع أن يقنع درباله لأداء واحدة من ألعابه السحرية

.. ووافق الرئيس على هذا التعديل بل وشد على يد درباله باعتباره فكرة ملهمة.

تحددت ساعة الصفر الثانية ظهراً وقبلها بساعات كانت أطقم الحراسة تتأهب لتأخذ أماكنها على أرض مطار الأقصر توطئه لتنفيذ العملية "سراج واحد" الساعة العاشرة صباحاً أقلعت طائرة الرئيس من مطار القاهرة الدولي متجهة إلي دولة الإمارات .. لم تمر سوي دقائق على الإقلاع حتى صرخ إيهاب مساعد الطيار:

- قنبلة في الطائرة ستنفجر بعد دقائق.

هرج ومرج داخل الطائرة .. خوف ورهبة وتساؤلات مضنية لا تجد لها إجابات شافية .. كيف حدث هذا ؟! ومن المسئول ؟! وسؤال يطرحه الرئيس في صوت مرتجف:

- كم يلزم من الوقت للعودة إلي مطار القاهرة.

أجاب إيهاب في توتر موشي بالقلق:

- ليس أقل من خمسة دقائق.
- والقنبلة.
- أمامنا أربعة دقائق وخمسون ثانية.
- وأقرب مطار نستطيع الهبوط فيه سالمين.

- ألماظة العسكري.
- قل لبهجت ينزل فوراً.

وهبط الكابتن بهجت على ممر مطار ألماظة .. أسرع الجميع فور الهبوط للهروب منها وكان في انتظارهم مفاجأة كبري .. أبو فصادة ورفاقه بعتادهم ورجالهم.

تم نقل رئيس الجمهورية وأسرته إلي فيلا بالإسماعيلية مع التحفظ عليهم .. بعد ساعات كان التليفزيون يذيع خطاباً للرئيس يعلن فيه استقالته من منصبه وتكليف نائب الرئيس لمهامه حتى يتم الاستفتاء على المرشح لرئاسة الجمهورية أعقب ذلك بيان للشبراوي نائب الرئيس جاء فيه أنه نتيجة لما أصاب البلد من نكبات سياسية واقتصادية واجتماعية بسبب الفساد والانحراف وما استتبعه من تدهور اقتصادي وفقر وبطالة وفشل في السياسة الخارجية وإرهاب بات يخيم على كافة طوائف الشعب نتيجة لهذا فقد قرر الرئيس باختياره إيمانا منه لصالح المواطنين التنحي عن السلطة حتى يترك الفرصة لغيره للنهوض بالشعب وإقالته من عثرته فور إلقاء خطاب الرئيس والبيان الذي أعقبه عمت موجة من الفرح كافة طوائف الشعب المختلفة في الشوارع والميادين والبيوت

والمنتديات الخاصة والعامة وانتشرت المظاهرات في كافة أرجاء البلاد طولها وعرضها وارتفعت حمي التأييد لتلك الخطوة التي ستغير مجري التاريخ خاصة وقد استعصت على الحلول كافة مشاكل الإنسان وأمسكت بخناقه .. الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتحول إلي فأر مجاري .. كانت ضربة الشبراوي ضربة معلم لم تراق فيها قطرة دم واحدة.

٤٢- اللقاء مثير بين الشبراوي ورئيس الجمهورية السابق .. لم يهدده الشبراوي بالسم أو بالسجن أو الإعدام على مقصلة بل طلب منه في هدوء أن يفصح له عن إيداعاته في بنوك سويسرا واستثماراته في أمريكا وأوربا وعقاراته التي يمتلكها .. في البداية أنكر قائلاً:

- لا أملك سوي الهدمة التي تسترني.

أصر على الإنكار .. في يد الشبراوي ملف أحمر .. مد به يده إليه متمتماً:

- اقرأه يمكن ينعش ذاكرتك.

الملف يحتوي على بلاوي مسيحة .. إيداعات تقارب ثلاثة المليار دولار .. استثمارات أسهم وسندات توازي

أربعة مليار .. عقارات في أسبانيا والملاديف وجزر الكناريا ولندن تجاوز قيمتها المليار بعد تصفحها همهم في إحباط:

- طلباتك ؟

- كل هذه الأموال ملك الشعب.

- بل ملكي أنا وأسرتي.

- من أين حصلت عليها .. من عمولة صفقات السلاح المشبوهة أم عائد قناة السويس أم البترول.

- كلها أعمال مشروعة متعارف عليها.

- متعارف عليها نعم .. لكن أعمال مشروعة لا .. فكل هذه الأموال ملك الشعب المستكين المغلوب على أمره.

- آخر الزمن يحاسبني قرداتي.

- حاسب على كلامك فهذا القرداتي يقوم الآن بأعمال رئيس الجمهورية.

- وإذا رفضت !

- ليس أمامنا سوي توجيه الاتهام لك باستغلال النفوذ والتربح فضلاً عن كشف كل الجرائم التي كنت شريكاً فيها.

- لن تستفيد شيئاً من سجني ولن يعود لكم مليماً واحداً.

- ولن تستفيد أنت الآخر بمليم واحد.
- ماذا تقصد؟
- ربما يكون الحكم عليك بالإعدام.

تراجع الرئيس السابق تسعين درجة ووجهه ينكفئ إلــي أرضية الحجرة وقد اكتسي بغلالة من حزن عميق وصــوته الخفيض يتلوى داخل الحجرة:

- وكيف أضمن أنه بعد تنازلي عن أموالي لا تقدمني للمحاكمة؟
- لأنني سأترك لك الحرية كاملة في مغادرة البلاد.
- مقشط ؟!
- بل سنرعاك أنت وأسرتك في الخــارج .. فضــلاً عن هذا لا بد وأنك "مدكن" حساب سري لا يعلم به غيرك.
- والله العظيم !!

قاطعة الشبراوي في حدة:

- لا تحلف فأنا أدري بحلفك اليمين!!

راح الرئيس السابق في تفكير عميق .. قال بعدها:

- وأملاكي في مصر التي تقدر بالملايين.
- تقصد قصر مصر الجديدة.

- وقصر ابني ؟
- كلها أمور يمكن بحثها لكنني لا أستطيع أن أعدك بشيء.
- ظلم !!
- وأين كان العدل وأنت تستولي وأولادك على أموال الشعب وتحولها لحسابات سرية في سويسرا واستثمارات في جميع أنحاء العالم.
- حقي.
- كسْر حقك.
- صحيح قرداتي.
- قرداتي لكن أمين مع قِرْده .. لا يوم ظلمته ولا أذيته .. كنت أنام على لحم بطني حتى أوفر له الطعام لكن أنت جوعت ناسك وعريتهم وأهدرت كرامتهم حولت حياتهم لجحيم .. حطيتهم قدام جدار المستحيل وقلت لهم عدوه.
- كل كلامك هلفطة.
- كلامي جاى من حارة سد لا فيها كدب ولا نفاق لكن إنت مثواك جهنم.

سكت الشبراوي .. عاد مستطرداً:

- قدامك أسبوع تستشير فيه أسرتك .. بعد الأسبوع إما تسافر بره أو نسفرك جوه .. سلام.

٤٣- بدأ الشبراوي يمارس عمله فور حلفه اليمين .. أمامه مهمة جليلة .. هدفه الإنسان وحتى ينجح كان عليه أن يكوّن نظرية يؤمن بها ويدافع عنها .. لم ينسي في يوم من الأيام أنه قرداتي .. وأن كل نقطة في دمه تنطق بمهنته .. عليه أن يستغل تلك المهنة في إسعاد الناس .. يؤدي ألعابه بمهارة .. يبهرهم.. يأخذ بعقولهم بأبصارهم .. يهبهم الأمل الذي مسخه الرئيس السابق إلي شبح من الوهم .. الأمل في غد مشرق جميل .. وكان عليه أن يفكر في الإنسان ماذا حدث له .. أصيب بالبلاهة والعته والاستسلام وعنة العقل .. كان عليه أن يبحث عن سبب ما أصابه .. لقد طالع التقارير عن أحواله .. بعضها كان يصيبه بالغثيان .. لقد أصيب بصدمة وهو يطالعها .. المجتمع في حالة فوضي عارمة .. أغلب الناس يجد قوت يومه بالكاد .. الخدمات من تعليم وصحة ومرافق وصلت إلي امتهان الآدمية من تدنيها .. البنية التحتية للمياه والكهرباء والتليفونات والمجاري تتآكل .. في

طريقها للانهيار .. الناس تشرب الماء مخلوطاً بمخلفات الصرف الصحي وتأكل المزروعات والفاكهة ملوثة .. تحولت أجسادها إلي محتوي من الآفات .. العقل خانع والإرادة مستسلمة والحكم ديكتاتوري قارح .. وكبار الموظفون متشبهون بالنظام .. كل مدير في إدارته ديكتاتور صغير .. عليه أن يعيد النظر في أمور الدولة بعد أن توحش الفساد .. وصل إلي النخاع .. وحتى ينجح كوّن نظرية آمن بها وقرر أن يدافع عنها .. عليه أولاً أن يتعامل مع الممكن قبل المستحيل وأول الممكن الحرية .. لم تمر سوي أيام قليلة على ولايته حتى أمر بالإفراج عن المعتقلين السياسيين .. أفرج بقرار عفو واحد عن خمسين ألف سجين .. أثلج صدور خمسين ألف عائلة .. وترددت الزغاريد داخل جدران خمسين ألف بيت تحمل معها نسمات الفرحة .. لقد فهم أبعاد اللعبة السياسية منذ أول وهلة أمسك فيها مقاليد الحكم .. الناس تريد لقمة الخبز .. هذا صحيح لكنهم لن يحصلون عليها وهم مقيدون داخل اسوار نظام ديكتاتوري يمنع ويمنح الحرية حسب مزاج الحاكم .. الحرية تأتي بالخبز

لكن الخبز لا يأتى بالحرية .. الحرية هي الدين .. هي العقيدة بدون الحرية لا يملك الإنسان دينه .. بل يصبح مجرد تابع حقير كل همه أن يحشو مصرانه ويشبع شهواته .. الحرية هي العمل .. من يملك الحرية يستطيع أن يعمل فالعبد لا يعمل إلا بالعصا .. الحرية تمنع التطرف هي التحصين ضد فيروسه .. لا ينمو أبداً في بيئتها .. مع الحرية لن نري متعصباً يهدد امرأة كاشفة رأسها بماء النار .. ولا يحرق محلاً يبيع شرائط كاسيت .. لن يطرق متعصباً باباً في الفجر ليوقظ صاحبه حتى يصلي.. مع الحرية لن يشط شيخ أزهر في تأييده للتطرف الأعمي .. فالدود لا يعيش إلا في العفن والقاذورات .. أدرك شبراوي كل ذلك بعد أيام قليلة من حكمه وفي خطاب العرش أمام مجلس الشعب أعطي الأمل للناس في حياة كريمة وعدهم بتغيير الدستور وقتل آفات الديكتاتورية بعد أن انتشرت في كل بقاع الوطن .. حتى البيوت تحول الأب إلي ديكتاتور لا معقب على رأيه .. وعدهم بتعقب الفساد حتى في مواسير المجاري .. بالإطاحة بكل معوقات التنمية .. أعاد الأمل في

الحرية للملايين المتعطشة لقطرة منها في أزمنة سـابقة كانت الناس تتغني بها في السر.. بل بُترت الألسنة حتى لا تتغنى بها وقدمت مائدة شهية علـى مائـدة الـرئيس السابق واليوم أطل عليهم الأمل فـي مسـتقبل ناصـع الابيضاض .. الناس لا تصدق.. كثيـراً مـا سـمعوا واستمعوا لهذا المفسود السابق المتبجح وهو يكذب عليهم كذبة واسعة فهم يعيشون أزهي عصور الحرية رغم أن الكلمة مقهورة .. معذبة محبوسة تعاني كافـة أمـراض الاغتراب والكبت من حظر ومنع .. لذلك عندما أعلـن الشبراوي عن بداية عهد جديد تخفق فيه إعلام الحرية لم يصدقه أحد .. فقد سمع الناس مثل هذا الكلام الكثير عن لسان الوزير المحفلط لكن عندما أعلن الشـبراوي عـن تكوين جمعية تأسيسية لتغيير الدستور بدأ الشك يـذوب والأمل يداعب الملايين خاصة أنه تـم الإعـلان عـن خطوطه العامة في الصحف وأجهزة الإعـلام المرئيـة والمسموعة .. أول هذه الخطوط العريضة .. الحرية .. انت حر إذا لم تنتقص حريتك أو تقتنص حرية غيـرك ثانيها المساواة فلا تفرقه بين مواطن وآخر حسب جنسه

أو عمله أو مكانته أو عقيدته فلا عامل ولا فلاح ولا فئات ولا قبطي ولا مسلم الكل أمام القانون في حالة مساواة .. الحقوق والواجبات تحدد حسب المركز القانوني للشخص .. ثالثها .. المرأة نصف المجتمع .. لا إنشائياً بل واقعياً ولن يتحقق هذا إلا بتكريس المساواة ورفع المهانة والإذلال الذي تعيشه المرأة بكل أبعاده .. عندما تحجب شهادتها وعندما تُكْره بدنياً على معاشرة زوجها أو عندما تتحول إلي مجرد أبنوب يتلقي بزاق شهوة الرجل أو عندما تجبر على الدخول في طاعة زوجها .. كلها أمثلة تصرخ بأن المرأة لا نصف المجتمع ولا ربعه ولا حتى أي عدد قابل للقسمة.

للوصول إلي تحقيق هذه الخطوط العريضة كان على الرئيس أن يقرأ نصوص الدستور صفحة .. صفحة .. سطراً .. سطراً .. كلمة .. كلمة .. وكافة القوانين التي تناولت حقوق الإنسان .. عثر على عجب أبوه عجب وأمه عجب .. في دهشة وهو يقرأ المكتوب .. ويعلق .. أي حمار كتب هذه المواد .. أو اقترحها.. كل حرف فيها يضج بالديكتاتورية .. كل كلمة .. كل عبارة تعلن عن هدف مستتر.. ربط رقبة

المواطن بحبل في وتد إلي المسافة التي يعثـر فيهـا علـى لقمته.. فإذا ما حاول فك الحبل مبتعداً عن الوتد يتم تقصـير الحبل فإذا ما كرر فعلته يسجن أو يسحل أو يقتل .. أصـبح الحيوان أكثر منه حرية .. شبراوي يقرأ ويمصمص شـفتيه ويضع خطوطاً حمراء تحت تلك النصوص التي تحول البشر إلي عبيد للسلطة يأتمرون بأمرهـا وينفـذون كـل تعليمـة بحذافيرها دون الخروج على النص .. صنّف المواد تصنيف أولوية أولها كافة الحريات محظورة .. ثانيها الاجتماعات أكثر من أربعة محرمة ويا ويله يا سواد ليله هذا الذي يتجرأ وينضم لمثل هذه الاجتماعات .. اتهام التآمر مشرع ضده .. ثالثها إصدار الصحف مرفوض تماماً إلا إذا .. رابعها تكوين الأحزاب من الممنوعات مثل الحشـيش والأفيـون إلا إذا .. خامسها الترشيح لرئاسة الجمهورية محرم إلا إذا .. وإلا إذا هذه الشفرة التي لا يملكها سوي الحاكم الديكتاتور .. لقد سأل الشبراوي " عاكف " مدير مكتبه عن الحكمة من حظر هـذه الحريات .. مط شفتيه قائلاً:

- عشان النسوان تخلف.

إنها شهوة السلطة عندما تتجمع في يد واحـــدة ومتعـــة الديكتاتورية وكل شئ داني:

بعد عبوره وادي الحريات الملغم بالمحظورات انتقل إلي القوانين الاستثنائية .. الطوارئ والاشتباه .. قوانين تســمح لرئيس الجمهورية أن يخلع لأي مواطن لباسه !! تعطي لـــه الحق في سجنه أو اعتقاله والاستيلاء على أملاكه ومنعه من السفر وتحديد إقامته وطرده من منزله .. تمنحـــه الحـــق أن يرميه مثل جيفة لكلاب السلطة .. تحول جهاز مباحث أمـــن الدولة في ظل هذه القوانين إلي غول .. وحش ضاري يلتهم الفريسة وهي حية.

نحي شبراوي الأوراق جانباً .. احتوته استغراقة طويلة الأمد تزاحمت خلالها الأسئلة وإجاباتهـــا .. إن مهمـــة هـــذا الجهاز يجب أن تتغير من حماية السلطة إلي حماية المواطن .. أمسك بقلمه كتب " جهاز مباحث أمن المواطن " تحت هذا العنوان بدأ في التخطيط لهدفه .. حماية المواطن في الشارع .. في أقسام الشرطة .. أثناء تحقيقات النيابة .. يحميه مـــن استغلال وديكتاتورية موظف الحكومة لن تكون مهمة الجهاز بعد اليوم خرق القانون واعتقال المواطنين بواسطة آلهة تشيع

الفوضى وتقتل البراءة في الأنفس وتبذر بذور الحقد والكراهية والسطوة بل مهمتها حماية المواطن والدستور.

ملف البنك المركزي .. بدأ في تصفحه .. قفز إلي أعلي ربما قريباً من السقف .. صدرت منه صرخة عفوية " ما هذا " بلاوي مسيحة قروض بلا ضمان .. فساد ظاهر ومستتر .. البنك المركزي يخضع لمؤسسة الرئاسة .. الهدف يشي بالسبب.. الأخطار جسيمة وبالجملة ومؤسسة الرئاسة تتستر عليها .. أمسك شبراوي بالقلم دون ملاحظاته .. البنك المركزي يتبع مجلس إدارته المنتخب ويتمتع بالاستقلال ولا ولاية عليه إلا من المحكمة الدستورية العليا.

الشبراوي في مكتبه منذ أيام يأكل ويشرب وينام ومعه مجموعة من المعاونين الأكفاء الشباب متفرغون تماماً لبحث كل صغيرة وكبيرة .. مضي شهر وهو يتجول بفكرة في أحراش القوانين المناهضة للحريات .. أحراش تعيش فيها بحرية ثعابين وسحالي وضباع وثعالب وبوم وغربان وحيات .. لم يعثر أبداً فيها على وردة يتنسم فوح عبيرها العطر.

طلب شبراوي من عاكف على وجه السرعة تقريراً عن انتهاكات حقوق الإنسان في مصر عن السنة الأخيرة .. بعد

ساعة زمن كان التقرير بين يدية يقرأه .. هاله المكتـــوب .. الانتهاكات فاضحة لأقوال هذا المأفون الذي كان يـــدعي أن المواطن ينعم بالحرية فأي حرية تلك ولا ضمان عليها سوي قوانين تقصف برقبته.

شبراوي ما زال منكباً الأوراق .. يلتهم السطور بعقلـــه .. دق التليفون المتحدث سهي .. صوتها مرتجف:

- الزيني ؟!
- خير.
- ليس على ما يرام.

اقتلع نفسه من الحجرة .. بعد لحظات كان يستقل سيارته إلي فيلته في المعادي.. أسرع إلي حجرة الزيني مريضـــاً .. حزيناً .. مهموماً .. فور أن رأي الشبراوي قفز إلي أحضانه .. الشبراوي يسأل الممرضة أجابته:

- من يومين وهو على هـــذه الحـــال لا يأكـــل ولا يشرب.

فوراً تم إعداد مائدة شهية غنية بالجزر والخس والفـــول السوداني .. رفض الزيني .. توسل إليـــه الشـــبراوي دون جدوي .. لم يكن أمامه سوي أن يطلب طبيـــب بيطـــري ..

الطبيب البيطري حائر .. الزينـــي لا يعـــاني مـــن مـــرض عضوي ويتلقي رعايـــة خمســـة نجـــوم .. حقنـــه بـــبعض الفيتامينات لكن حذر الشبراوي قائلاً:

- لو استمر على هذا الحال من امتناعه عن الطعـــام فلن يمر عليه أسبوعاً واحداً.

الشبراوي معه في نفس الحجرة .. يسأله:

- لو طلبت لبن العصفور لن أتواني عن إحضاره.

لكن الزيني .. صامت .. حزين .. الشبراوي يفكر فـــي أمره .. ربما يعاني الوحدة بعد أن هجره .. ربمـــا لغيـــاب الحرية التي كان ينعم بها وهما يتجولان معاً فـــي الشـــوارع والحواري .. الزيني مازال مضرباً عن الطعام حالته تتدهور من سيء إلي أسوأ .. توسل إليه شبراوي .. بكي .. كلماتـــه مستجدية:

- من فضلك لا تمت.

٤٤- سهي تصرخ في الشبراوي بحدة:

- أكيد اتجننت.

لقد رأته وهو يسحب القرد خارج الفـــيلا وقـــد ارتـــدي بنطلونه القديم المخطط والقميص الباهـــت الألـــوان .. فـــي

البداية لم تفهم .. ظننت إنها مزحة أو لعبة من ألاعيبه إلا أن صرخته " لا أريد له الموت " أفصحت عن مضمون ما انتواه .. لقد قرر أن يخرج به إلي الشوارع والحواري يؤدي نفس الدور الذي كان يؤديه معه منذ سنوات القرداتي والقرد .. نام نومة العازب .. أعجن عجين الفلاحة .. إكوى طربوش الأفندي .. لم تصغي سهي لاستجداء الشبراوي بل تصدت له لتمنعه من الخروج .. دفعها وهو يصرخ فيها:

- لو الزيني مات تبقي نهايتي.
- خرافات الشيخ عرجون.
- للأسف هي الحقيقة.

الخدم تحملق مدهوشة في رجل يخرج من الفيلا وهو يسحب القرد وقد غطي رأسه بكسكته حجبت جبهته وأعلي رأسه عن الرؤية .. البواب يفتح باب حديقة الفيلا هو الآخر غير متيقن من هوية هذا الرجل الرث الثياب .. رغم أنه رأي فيه صورة شبيهه لسيده إلا أنه كذب نفسه وهو يتمتم " يخلق من الشبه أربعين " فلا أحد يمكن أن يصدق أن هذا القرداتي هو رئيس الجمهورية !! اللمة تتجمع حول الشبراوي وهو ينتقل بالقرد من شارع إلي حارة استعاد

الزيني حيويته وهو يؤدي ألعابه برشاقة والشبراوي يطعمه الجزر وحبات السوداني .. أثناء عودتهما احتضنه .. قبله .. همس:

- لا تدع القلق عليك يتمكن مني مرة ثانية!!

لقد ارتبط الشبراوي بالزيني ارتباط عقيدة .. إن حياته وتواجده على خريطة المستقبل تكمن في الزيني .. فهو يستمد منه شعلة الحياة والقدرة على الاستمرار تحولت عقيدته إلي دين .. يؤدي طقوسه من خلاله ألعابه السحرية .. نوم العازب .. عجين الفلاحة .. طربوش الأفندي.

٤٥- خلال فترة وجيزة استطاع الشبراوي أن يبلور هوية النظام السياسي .. نظام ديكتاتوري فج للرئيس السابق له فيه على البشر حق الحياة والموت من خلال قانون طوارئ معيب .. فهو يستطيع بصفته حاكماً عسكرياً أن يلغي حكماً بالبراءة ويحوله إلي حكم بالإعدام كما في سلطته أن يحيي محكوماً عليه بالإعدام بالعفو عنه .. سلطته شبيهة بسلطة الإله وربما أعلي منها.

شبراوي مازال عاكفاً على دراسه مشاكل المجتمع المتراكمة .. كان يضع جسم المشكلة على منضدة العمليات

ويبدأ في تشريحها حتى يحدد نوع ومكان الإصابة ثم يحاول وقف انتشار المرض بعدها يبدأ في اجتثاث جذور الأسباب .. الصورة أمامه أسيفة محزنة فالسرطان الذي أصاب خلايا المجتمع ليس علاجه البتر بل التعرف على الفيروس ومقاومته بكافة المضادات الحيوية .. أحد هذه الفيروسات التي أصابت المجتمع بالبلاهة والبلادة دور الإعلام في تشكيل الوجدان يأتي بعده ضلوع الحرس القديم في تجميد المنظومة السياسية ثم نصوص الدستور المعيب وأخيراً قوانين الطوارئ الحادة الأنياب أربعة فيروسات لو تم مواجهتها والقضاء عليها لتغيرت صورة الحياة السياسية ولأفسحت المجال للحرية المفتقدة .. أربعة فيروسات تمثل طاحونة تطحن كل دعوات الحرية .. يولد الطفل حراً وعندما يشب عن الطفولة يتحول إلي عبد ذليل للسلطة الأبوية والمدرسية و الحاكميه .. وأخيراً التليفزيون إحدى أدوات القمع الفكري كلها تتحد في ضفيرة قوية تخنق إرادة المواطن .. تقضي على أي مبادرة إبداع تموج بها نفسه .. يستعذب العبودية ويتحول في فترة وجيزة إلي حيوان مستأنس أليف يطيع الأوامر وينفذها ويتمحور حديثة إلي

مواء أو نهيق أو نباح أو عبارات خرساء وهو لا يستطيع أن يبوح بمكنونه ويعلنه على الملأ فإذا حدث فالمنطوق عبارات نفاق ورياء.

لا يوجد في العالم الحر الأن ما يسمي بوزارة إعلام فقط المجتمعات الوضيعة المتخلفة التي مازالت في طور الشرنقة وحتى بعد أن تتمزق الشرنقة فلن تخرج منها سوي أجنة تتغذى من وسخ نعال أحذية السلطة .. لذلك تشب متخلفة عقلياً واجتماعياً وحضارياً وقد اعتراها السفه والغفلة .. في حاجة دائماً إلي من يرعاها ويطعمها ويتولى أمرها والفكر المغيب للعقل يُفْرض عليها من خلال تمثيليات يعرضها التليفزيون وأحاديث وأقوال تقدس كل معاول هدم الحرية وحصونها والنتيجة الحتمية تكريس صناعة الإله وعبادة الفرد .. وما يتبعها من نشر ملصقات صور الحاكم في دواوين الحكومة والشوارع وعلى جدران المراحيض العامة فتختلط الروائح الكريهة بالمنظر الكريه وتتعانق رؤى الكبت والإنطواء وصورة الحاكم تعرض قسراً من خلال شاشة التليفزيون صبحاً وظهراً وإمساءً في نشرات الأخبار وكان أن تحول وزير الإعلام إلي إله ثاني مصغر للإله الأكبر

وبالتالي أصبح على المواطن عيادة ثلاثة آلهة بالإكراه .. وعلى الناس سماع الغث الرخيص من الكلام دون أدني اعتراض.

تقرير خطير قدمه عاكف تدور مضامينه حول الحرس القديم الذي يحكم في الخفاء . خمسه يمسكون بزمام الأمور بقبضة من جديد .. أقلهم سناً بلغ السبعين من العمر التقرير شمل كل جوانب حياتهم الشخصية والعامة .. وممتلكاتهم ومصادر ثرواتهم وتأثيرهم على الموطن .. رسالتهم الرعب يحميهم طابور خامس من الأثرياء والمتطفلين وكبار الموظفين .. مجموعة امتلأت كروشهم وجيوبهم وكروش أولادهم وأحفادهم .. تحولوا من كائنات أرضية إلي علوية مكانها هناك في السماء فوق رؤوس الناس يبولون عليهم وهم يضحكون كلما بلل الرؤوس البول .. طال مكوثهم سنوات عديدة .. ملّت منهم المناصب لكنهم لم يملّوها فهي وسيلتهم للبقاء .. أعجب التقرير الشبراوي .. شد على يد عاكف تمتم مشجعاً:

- تقرير جرئ وصريح.

- يا سيدي الرئيس لم يكن ممكناً أن يكتب بهذه الصراحة والجرأة إلا بعد استشعارنا بها منكم.

غضب الشبراوي قال في لهجة حاسمة:

- إلا النفاق يا عاكف.
- لكنها الحقيقة يا سيدي .. لو لم نستشعرها منكم ما أقدمنا على كتابة مثل هذا التقرير.
- أمامنا الآن قضيتان رئيسيتان .. الإعلام م ثم الحرس القديم.

سكت الشبراوي .. عاد مستطرداً:

- أريد لقاء ألفت فوراً.
- الساعة الآن الواحدة صباحاً يا ريس.
- لو هي نائمة في زجاجة .. إكسرها.
- أمرك.

قامت ألفت مفزوعة على مكالمة عاكف وهو يخبرها أن سيارة من رئاسة الجمهورية في انتظارها أسفل العمارة لنقلها لمقابلة الرئيس .. انتابها القلق .. إن الأمر جد خطير .. وأن هذا الاستعجال الذي يحمل في رحمه جنين الإلحاح لا بد وأن

يكون في منتهى الأهمية والضرورة .. فور دخولها مكتب الرئيس تمتم لها في أدب جم:

- أقعدي يا ألفت.

جلست .. طال الصمت .. سألها:

- أخبارك ؟!

دهشت .. هل استدعاها الرئيس الساعة الثانية صباحاً ليسألها عن أخبارها إلا إنها ردت قائلة:

- بخير طالما سيادتك بخير.
- إسمعي يا ستي.
- كلي آذان صاغية.
- أريد منك إعداد تقرير عاجل وسري عن الآثار المترتبة على إلغاء وزارة الإعلام.

ردت في دهشة مصوغة في استنكار:

- نلغي وزارة الإعلام بجرة قلم.
- لا يا ستي يا بأستيكة.
- كيف؟
- أنا طلبت منك طلب تقدري تنفذيه أم أكلف أحداً غيرك بهذه المهمة.

راحت ألفت في استغراقه طويلة الأمد قالت بعدها:

- أمهلني أسبوعين.
- أسبوع واحد فقط وبمنتهى السرية.
- أمرك يا ريس.

نهض الرئيس صافحها همس لها قائلاً:

- أسعدتني زيارتك وإلي لقاء قريب.

٤٦- على الرئيس مواجهة قضية حساسة .. لقد وضعها على الأجندة منذ أن تولى الحكم واليوم على منضدة العمليات يشرحها .. يحاول أن يصل إلي المنطقة المصابة بالسرطان. من أول وهلة تأكد له أن الإصابة وصلت المخ .. لا يجدي معها العلاج بل البتر هو الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه .. ولكن المشكلة كيف يتخلص منهم ومن هذا الجيش الجرار الذي يتبعهم دون أن تحدث هزة في المجتمع.

أبداً لن يجدي تقليص سلطانهم ولا تهميس دورهم بل يجب تنحيتهم تماماً عن مراكزهم بإبعادهم عن السلطة بأي ثمن .. المعادلة صعبة كيف يتخلص من عصابة الخمسة دون أن يثير عليه هذا الجيش الجرار .. كيف يصفيهم من

على رقعة الشطرنج في نفس الوقت الذي لا يخسر هـؤلاء المؤلفة بهم قلوبهم .. المواجهة يصعب التنبؤ بنتائجها لكنهـا حتمية طال الوقت أم قصر هو أو هم لا خيار آخـر أمامـه لذلك كان عليه أن يلعب معهم لعبة القرداتي التي يجيدها مع الزيني .. وأن يلعبها بدقة وإتقان في يده عصا السلطة يهش بها دون أن يضرب في نفس الوقت الذي تمتد اليد الأخـرى بالجزرة .. لكن عليه أن يطـرق الحديـد وهـو سـاخن .. والحديد الآن وصل إلي درجة الإحمرار .. أول خطوة يجب أن يستعد لها هو الاجتماع بهم .. يتعرف من خلالها علـى مكامن قوتهم وضعفهم وأهدافهم وطموحاتهم قبلها لا بد وأن يكون تحت يديه ملف لكل منهم فيه تقرير شامل عـن كـل جوانب حياتهم نشأتهم .. سيرتهم الذاتيه .. الأعمـال التـي يمارسونها الثروة التي يقتنيها كل واحد منهم شاملة العقارات والمنقولات والأموال نقديـة أو مسـتندية .. مصـادرها .. علاقتهم الاجتماعية .. النسائية .. مكان سهراتهم .. هواياتهم .. قضاء أوقات فراغتهم .. نوادي .. قمـار .. رياضـة.. مخدرات .. كل صغيرة وكبيرة حتى لـون عيـونهم .. دق الجرس .. أطل عليه عاكف من فرجة الباب .. مرهـق ..

متداعي البنية .. لقد قاربت الساعة الرابعة صـــباحاً .. لقــد سأل نفسه وهو يتخطى باب حجرة الرئيس المثلثة الأبعـــاد.. ألا يتعب هذا الرجل هل هو من فولاذ لا يكل ولا يمرض ؟! كان يود أن يوجه له هذا السؤال ولـــو حـــدث لمـــا وجـــد الشبراوي حرجاً في الإجابة على الفور .. إنه قرداتي.. كان ينام ليالي كثيرة مصاحباً الزيني على اسفلت الشارع .. عاني الحرمان والبرد والحر والجوع .. عاش مـــع الزينـــي فـــي حجرة واحدة يتقاسمان سوياً الطعام وفي الأيام التـــي يعجـــز فيها الشبراوي عن تدبير الطعام كان يقترض لشراء الجـــزر والفول السوداني للزيني وينام هو على لحم بطنه كان يـــؤثر الزيني على نفسه لأنه مصدر قوته بدونه بـــلا هويـــة لكـــن بصحبة الزيني اكتسب اسم القرداتي .. وهذا هو حال الحاكم مع شعبة بدون هذا الشعب فلا هويـــة لـــه ولا مضـــمون .. مجرد حاكم شكلي .. لا يحكم سوي نفسه .. فـــور دخـــول عاكف سال في صوت خفيض كليل:

- أمر سيادة الريس.

سأله الشبراوي في صدق:

- مرهق؟!

- يا ريس أنا لي أربعة أيام لم أري أسرتي.
- غداً تستريح.
- المهم غداً هذا متي؟!

لأول مرة يتجرأ عاكف ويخاطب الرئيس بهذا الصراحة التي لو قالها في حضرة أي رئيس سابق لأقصاه فوراً من عمله .. أحس بوطأة العبارة على نفسه وعلى الرئيس همس:

- أنا أسف.
- بالعكس أنا سعيد جداً لصراحتك معي .. فهي دليل ولائك.

مرت فترة صمت قصيرة . نهض خلالها الشبراوي من خلف مكتبه .. جال الحجرة ذهاباً وإياباً .. عاد بعدها إلي مقعده .. بدأ يخط بقلمه على ورقة .. مد يده بها إلي عاكف قال:

- هذه الأسماء الخمسة أريد عنها تقريراً شاملاً قبل الثامنة مساء بعد غد ميعاد لقائي بهم.

سكت .. عاد مستطرداً:

- شاملاً يا عاكف حتى وقت دخولهم الحمام.

طالع عاكف الأسماء .. أخذته رجفة .. راح لونه يغب في الإصفرار والزرقة والاسوداد .. رد معقباً:

- لو وصلهم خبر التحري عنهم تبقى مصيبة فأعوانهم منتشرون في مباحث أمن الدولة والمخابرات والأمن العام.

- مجرد دمي قوائمها من قش !!

- دمي ؟!

قالها عاكف في استغراب:

- نعم دمي .. المهم اختيار الأسلوب الأمثل للتعامل معهم.

- كيف؟

- أسئلتك كثيرة يا عاكف!!

- كل ما أريده أن أتعلم منك.

- بلا مقابل يا عاكف.

- أردها لسيادتك في المناسبات.

- يا عاكف الطريقة المثلي للتعامل مع هذه الدمي هو الخيط.

سكت الشبراوي .. عاد مستطرداً:

- فهمت؟!
- أعدم مراتي لو كنت فهمت مقصد سيادتك.
- يا عاكف .. لو قطعت الخيط الذي يربط الدمية باللاعب ماذا يحدث.
- تتوقف الدمية عن تأدية دورها.

سكت الأثنان .. شبراوي وعاكف .. فجأة تمتم عاكف مازحاً:

- أما أنا طلعت حمار.

رد عليه الشبراوي منتشياً.

- أخيراً فهمت.
- طبعاً سيادة الريس .. لو قطعنا الخيط الذي يربط الدمية بالسلطة نعزلها وتتحول إلي جماد.

قبل أن يخطو الشبراوي خارج الحجرة تمتم في عجالة:

- قبل الساعة الثامنة بعد غد التقرير يكون جاهز .. وروح نام مع عيالك.

٤٧- قبل موعد اجتماع الشبراوي مع عصابة الخمسة

طالع التقرير الذي تم إعداده جيداً .. التقرير يدينهم .. يكشف عوراتهم .. يظهر عريهم .. لقد تناول كل

صغيرة وكبيرة في حياتهم حتى وهم في الفراش .. في الحمام .. أسرع أربعة منهم للقاء شبراوي أما الخامس فقد أعتذر عن الاجتماع مدعياً أصابته بالأنفلونزا بل واتصل بالآخرين يحذرهم من حضور الاجتماع فما أعده الرئيس لهم مذبحة مثل مذبحة محمد على .. لكن رفضهم الحضور كان يعني مواجهة بينهم وبين الرئيس في وقت لم يستعدوا فيه تماماً لهذه المواجهة .. لذلك توافدوا على قصر الرئاسة الواحد تلو الآخر .. أبقاهم الرئيس ساعة زمن في الصالون الملحق بمكتبه قبل أن يتلقي بهم وعند لقائه بهم صافحهم قبلهم .. بعد فترة وجيزة من حديث مفحم بالود .. قال موجهاً حديثه لفريد الطحان:

- يا طحان .. إنت إسمك على مسمي لكن ينقصك أمر واحد فقط.

سكت حوّم الصمت على المكان .. عاد مستطرداً:

- لكن طحنك أورد الحزب موارد التهلكة.

في تلك اللحظة قاطعه الطحان في حدة قائلاً:

- سيدي الرئيس.

أشار الشبراوي بيده .. أسكته استكمل حديثه قائلاً:

- لا تقاطعني قبل أن استكمل حديثي.

سكت قليلاً كان ينتقي عباراته وهو يستطرد قـائلاً فـي تؤده وتروي:

- أسلوب إدارتك للحزب حوله إلي مريض بـالجزام لا يشفيه إلا التفكيك ثم إعادة التركيب من جديد .. أنظر إلي نفسك وانت تشغل منصب أمانة الحزب منذ عشرين عاماً .. لماذا؟ هل لأنك فريد عهدك .. أم أن المجتمع أصابه العقم فلم يعد قادراً على إنجاب من يتولي المسئولية؟! أم لأن شـمولية النظام فرضت الواحد القهار على كـل ميـادين الحيـاة .. سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية؟! أم ماذا يا طحان.

ابتسم فريد ابتسامه صفراء تحمل كل المعاني الخبيثة .. يقول بها ما أنت كنت معانا فترة طويلة وانت نائب رئيس فمـاذا حدث إلا أنه حبس ذلك الخاطر وهو يرد قائلاً متسائلاً:

- النتيجة التي يريد السيد الرئيس الوصول إليها؟

- اعتبر مكانك شاغراً منذ الآن.

- كيف؟!

- تقدم استقالتك ومبرراتها معروفة .. الزهايمر.

- والحل من وجهة نظرك.
- إذا كنت تريد التضحية بنا نحن الأربعة.

أشار الطحان لمجموعة الجالسة وهو يستطرد قائلاً:

- فأنت إذن في مواجهة أزمة قد ينفجر معها النظام والحياة الديموقراطية.

الشبراوي يكتم غيظه .. يرد في برود:

- أي حياة ديمقراطية يا فريد تلك التي تحدثني عنها حزب الأغبيا الذي تسمونه حزب الأغلبية أم الأحزاب المشاركة في تقليم أظافر الحياة السياسية أم أخالك تقصد مجلس الغم والفم .. يا طحان طحنك لهذا الكلام مقبول منك عندما تحدث العامة .. لكن أنا لا .. أكيد فهمتني.
- يا ريس نظامنا ماشي عال العال فما ضرورة هذا الانقلاب الحاد.
- حتى لا تدوسنا الأقدام والنعال.
- أي أقدام وأي نعال ما هي إلا تهيؤات .. فكل أمور المواطنين تحت السيطرة وبالتالي فلا معنى لهذا الإجراء.

- الناس زهقت ملت .. نفس الوجوه .. نفس الأحاديث التي كانوا يسمعونها من عشرين سنة وربما أكثر .. نفس الأفعال .. التبريرات.

- تزهق .. تمل .. تتضايق .. لا يهم .. كل ما يهمنا أن تكون الأمور تحت السيطرة وهي فعلاً كذلك .. فماذا يقلقك يا ريس.

- أفهم من كلامك أن الأهم هو بقاء النظام على حاله وينعل الناس وأبوهم وجدودهم وأحفادهم .. ماذا يهمنا من الناس طالما نحن في السلطة .. أنا راضي والحاكم راضي مالك إنت يا قاضي.

- هي الناس عندك غنم.

- الناس عالة علينا .. مفروض إن إنا نوكلهم ونشربهم ونجوزهم ونسكنهم ونستت نسوانهم ونذيع لهم كاس العالم والدوري والكأس وتمثيليات عن الأغنياء ومشاكلهم حتى يحمدون ربهم على النعمة التي يرفلون فيها ويتناسون فقرهم وما يعانوه من كبت وحرمان.

- العكس هو الصحيح .. بل أصبح استمراركم خطراً عليهم.

- هو الزلزال يا ريس.
- سمعتها منك يا طحان أكثر من مرة .. فيه عندك جديد؟!

أمسك زهير جرانه الثاني في عصبة الخمسة طرف الحديث قائلاً في صوت أجش واثق:

- يا ريس كلنا في مركب واحدة نغرق سوا أو نعوم سوا.

رد عليه الشبراوي في حسم كلله الغضب:

- من اليوم مركبكم جاهزة تركبوها وحدكم .. أما أنا فلدي مركب نوح من كل زوجين إثنين.

التعقيب يحمل في طياته كثيراً من التهديد فلو حل الطوفان فلن ينجو منهم أحد .. أما هو فمع الشعب .. أمسك زهير عن الحديث حتى لا تتطور الأمور إلي الأسوأ انتقض شكري حواية بعد أن استشعر من ثنايا الحديث خطراً داهماً .. وشكري هذا هو حاوي حواة الزمان يفقس من بيض الحمام نعام وهو يغطي الحقيقة بكلام رخيص فقط للاستهلاك المحلي .. استطاع في فترة وجيزة أن يصبح الحاكم المطلق لمحافظة عريقة .. محافظة شيل بالكوم واتعلم العوم في مياه

المجاري .. أمتلك ما فيها من بشر ومباني وأراضي .. كل ما فيها أصبح طوع إرادته يقل للشيء كن فيكون .. يقرر مصير كل كائناتها .. الخطوة أو الإيماءة أو حتى النظرة لا تتم إلا بإذنه .. منهجة بزرميط .. وضعه وأرساه ودعمه بنصوص قننها في تصرفات لا يستطيع الجن أن يجاريه فيها .. الثمن مدفوع مقدماً .. أحكام المحاكم .. إصدارها أو وقف تنفيذها .. أولوية التعيين في وظائف النيابة والشرطة والإعلام والخارجية والضرائب .. ترقية الموظفين .. تنقلاتهم .. تحويل الأراضي الزراعية إلي أراضي مباني .. الانحراف بكل أشكاله وصوره ودرجاته .. الإعفاء من الجمارك .. الضرائب .. الرسوم .. ولكل تسعيره تبدأ بعشرين ألف جنيه وتنتهي بمليون .. الرجل يجلس أمام الرئيس وكله يرتجف .. لقد رأي نفسه خلف قضبان الاتهام .. يلوم نفسه لماذا لم يستمع لنصيحة أبو الحسن .. واعتذر عن حضور الاجتماع .. حاول الحديث .. التعبير عن قليل مما يعتمل داخله .. مرة .. اثنين لم يستطيع وفي المرة الثالثة خرج الصوت الجهوري الذي كان يتهدد به ويتوعد

كل متمرد في الاجتماعات أو الندوات أو البرلمان .. خـــرج الصوت مثل صوت صرصار غيظ:

- سيادة الرئيس قلبك كبير ولا ترضـــي أن يأكلنـــا النظام لحم ويرمينا عظم.

رد عليه الرئيس في سخرية:

- عظم وانت ولا حسد شايل ربع طن لحم.

- مقبولة منك يا ريس.

قالها ضاحكاً استطرد بعدها:

- لكن اسمح لي أقول لك أن الوقت لم يحن بعد ..

- ومتي يا حواية ؟

- معاك يا ريس لآخر العمر.

- لآخر العمر لا .. لأن ولايتي ولاية واحدة.

- بعدها ربنا يفرجها علينا وعليك ومـــين عـــارف يمكن.

قاطعه الشبراوي قائلاً:

- يا حواية افهمني الدنيا تغيرت من حولنا مائة درجة ونحن مازلنا في مكاننا.

- ونحن معك نساندك ونسند رؤيتك .. فإذا كان كل ما حولنا يتغير فضروري بل وحتمي أن نساير هذا التغير.

نهض شبراوي من مكانه .. دار دورتين حول الأربعة قال بعدها:

- حتى تسايروا التطور لا بد من تغيير الفكر وهذا مستحيل.

رد عليه حواية في حماس:

- لا يوجد مستحيل يا ريس !!
- ورقة الحرس القديم احترقت وتحولت إلي رماد.
- إذا كانت الورقة احترقت فلا تحرقنا معها.
- يا حواية ليس من شيمتي ولا طبعي الغدر .. لكن كل ما أريده هو التغيير.

حل الصمت .. الصمت من هذا النوع الغامض اللامفهوم .. في تلك اللحظة تداخل الدهان .. شكري الدهان أمسك بطرف خيط الحديث قائلاً:

- يا ريس لسنا ضد التغيير .. لكننا مع التغيير الذي يتم ببطء بأسلوب الخطوة وليس التغيير المفاجيء حتى لا تحدث فوضي.

- كيف يا دهان؟

- الناس تطالب بإلغاء حالة الطوارئ .. نلغيها ونضع بدلاً منها مسمي حالة مؤقتة ونخفف قليلاً من أحكامها لكن نبقي على معظمها .. وأمن الدولة التي تخيف وترعب المواطن تغير إسمها إلي مباحث أمن المواطن وهذا ينطبق أيضاً على محاكم أمن الدولة أما قوانين الاشتباه التي يلح الرأي العام على إلغائها فعلينا أن لا نخيب رجائه.

قاطعه شبراوي قائلاً متسائلاً مستنكراً:

- بتغيير المسمي!!

- تغيير قانون الاشتباه إلي قانون التعرف .. وهكذا نضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد .. نرضي طموح الناس في التغيير ونوقف الضغط الخارجي علينا ونحافظ على الاستقرار.

ضحك الشبراوي .. ضحك معه الأربعة .. قال بعدها:

- قصدك نخدع الناس.

- يا سيدي الرئيس هذه مرحلة تغيير المسميات بعدها ننتقل إلي مرحلة أخري ربما تأتي بعد انتهاء ولايتك.

- وملامحها؟!

- نغير بعض مواد من الدستور والتي لم تعد تتــوائم مع متطلبات العصر.

- مثل؟!

- التنسيب في مجلس الشعب فنلغي نهائياً الخمســين في المائة عمال وفلاحين ونحولها إلي تمثيل نقــابي .. ولأن نقابات العمال والفلاحين هي أكثر النقابات عدداً فسيتم تمثيلهم في مجلس الشعب والشوري بأكثر من خمسين في المائة.

- وبذلك تستبدل التنسيب بآخر أشد وطــأه .. إنــت مصيبة.

حل صمت عميق أشار خلاله الشبراوي علــى طلبــه " فهمي طلبه " متمتماً:

- وانت يا طلبة ؟!

- أنا ماذا يا ريس.

- أريد أن أتعرف على رأيك.

- ما سمعته الآن يا ريس هو ارتجافه طير رشــقت فيه سهمك أو سمكة في شباكك.

- وضح.

- المسألة ليست في حاجة لتوضيح لأنك مستوعب كل كلمة أنا قلتها ولن يشفع لنا عندك أي كلام ممكن أن يقال.

سكت .. عاد مستطرداً بوقاحة:

- انت تلاعبنا يا ريس لعبة القرداتي التي تجيدها.

تضايق الشبراوي وقبل أن يرد عليه استطرد طلبه قائلاً:

- نحن القرد وانت القرداتي ومعك العصا والقرار ولن تغير أقوالنا من قرارك فمن الأفضل أن تفصح لنا عنه دون لف أو دوران إذا كنت تريد التحفظ علينا أو اعتقالنا أو محاكمتنا .. نحن على استعداد لأي أمر تصدره لكنني أحذرك أنك بفعلتك ستعجل بنهايتك أن عاجلاً أو أجلاً .. لذلك فنصيحتي لك أن تتريث في اتخاذ القرار حتى لا تندم.

في تلك اللحظة قاطعه الشبراوي قائلاً وهو يلوح بتقرير في يده:

- في هذا التقرير بلاوي مسيحة .. مصايب تودي السجن حتى آخر العمر تحب تعرف؟!

هز طلبه رأسه .. استطرد الشبراوي قائلاً:

أولاً: شيل بالكوم واتعلم العوم .. تفاصيل كلها وسخ ورشوة ومحسوبية واغتصاب أراضي الدولة وانتهاك حرمة ملك الغير .. وبلطجية وشيكات بدون رصيد وإيصالات أمانة .. الخ .. الخ ثانياً: استيراد المبيدات المحظورة دولياً جريمة قتل متعمد .. فشل ذريع في الاستكفاء الذاتي من محصول القمح والتهام المباني للأرض الزراعية والتلوث البيئي من منتجات زراعية ومياه وهواء وثالثاً: اقتناء القصور الفاخمة في أحياء مصر وفي كندا ورابعاً: هذا المخنث الذي رفض حضور الاجتماع والذي استغل وظيفته في التكسب الغير مشروع والتربح واختلس الآثار وأهدي الكثير منها للكبار للرئيس السابق والمسئولين وهرّب منها إلي الخارج ما خف وزنه وغلا ثمنه .. هذا المخنث مقبوض عليه الآن ويتم التحقيق معه في التهم المنسوبة إليه لكن أخطر ما في أجندة الفساد نشل وعي الإنسان من خلال إذاعات سمعية ومرئية ومكاتيب كاذبة حاقدة منافقة هل تعرفون أن ما من أحد جرؤ على انتقاد مؤسسة الرئاسة التي ترهلت وكأنها عرش الإله رغم الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها الرئيس السابق في حق

شعبه والتي تمثل آثام عصر بأكمله آن أوان كشـــفها للـــرأي العام.

سكت الشبراوي يستعيد أحداث ما بعد تنصـــيبه رئيســـاً بعدها عاد مستطرداً:

- إن جروح البلد كثيرة .. عميقة .. متقيحة إذا لـــم يتم التعامل معها بحسم فالمصيبة كبيرة لن يجدي معهـــا أي علاج ورغم كل هذه الآثام التي ارتكبت فـــي حـــق شـــعب مستكين ذنبه أنه مستكين .. رغم هذا.

سكت من جديد .. هذه المرة ليلتقط أنفاسه .. يري تأثير كلامه على وجوه الصفوة المتحجرة والعيـــون المشـــدودة .. ترتعد فرائصهم انتظاراً لانفراج شفتيه عن كلمة ربما تدينهم وربما تقذف بهم إلي جُب .. استطرد شبراوي قائلاً:

رغم كل هذا فأنا لست دمويا .. الآن استطيع أن أضعكم في قبو مظلم وامنع عنكم الطعام والشراب حتى تنتهي آجالكم تماماً مثل ما فعلتم مع مئات المخلصين لبلدهم وفي ســـلطتي أن أصدر أمراً بقتلكم فوراً جزاء ما ارتكبتموه مـــن أخطـــاء تصل إلي حد الخيانة العظمي وهذا جزاء عادل وصـــدقوني سأنام ليلة موتكم مرتاح الضمير فأنتم أحد أسباب تخلف هذا

الشعب العظيم .. لكنني رغم كل هذا لا أريد أن أكلل مسيرتي بتلك الهمجية التي كانت سمة العصور الفائتة .. كل ما سأفعله أنني سأضع أقداركم في يد القضاء النزيه هذا الذي صمد وقاوم محاولاتكم المتكررة لدفعة داخل دائرتكم الجهنمية واستطاع الهرب من ناركم باستثناء قلة بسيطة تحسب عليكم لا عليه.

ولن تكون محاكمتكم أمام محكمة خاصة أو طوارئ من إياها التي حاكمتم أمامها نخبة من الكتاب والصحفيين بل أمام إحدي دوائر المحاكم العادية سيتم اختيارها طبقاً القانون وسنوفر لكم كل ضمانات الدفاع لتكون وساماً على صدر القضاء الشامخ.

في تلك اللحظة انبرى فهمي طلبه معقباً على كلام الشبراوي في جرأة ووقاحة:

– يا ريس أخذتنا على غرة وانت تغدر بنا وكنا نظن في لقائك خيراً فإذا كنت تريد أبعادنا حتى يخلو لك الجو وتتحكم وحدك في مصائر الناس بفلسفة القرداتي فلك هذا .. لن نعارضك ولن نقاومك لكن دعنا لشأننا ولا تجعل من نهايتنا مأساة وقد قضينا العمر كله في خدمة بلدنا وأن كنت

تشك في نيتنا فكل منا يملك جواز سفر .. في أيـــام وربمـــا ساعات لن تري وجو هنا مرة أخري .. ربما قد تراها عندما تأتي إلينا أنت الآخر مطروداً مثلنا لكن دعنا نرحل في هدوء بدون محاكمة أو سجن.

تدفق الدم في رأس الشبراوي .. حاول التماســك .. رد في حدة:

– أولاً يا طلبة حتى ولو كانت فلسفتي هـــي فلســفة القرداتي فهي الحب الذي أكنه للزيني لأنه مصدر رزقـــي .. بدونه لن أكون الشبراوي .. إذن فلا عيب أن أتعامــل مــع شعبي بنفسي الفلسفة .. ثانياً موضوع رحيلكم عن البلد فيــه شك كبير يعني تاكلوها موزة مقشرة وترموا القشرة يتزحلق فيها الناس هذا أمر أما الأمر الثاني ما تطلبوه هو المستحيل بعينه .. لا بد للإنسان أن يدفع ثمن أخطائـــه فـــلا يتحملهـــا الناس الغلابة.

سكت الشبراوي حاول طلبه الحديث إلآ أنه قاطعه قائلاً:

– لم أكمل حديثي بعد يا طلبة.

سكت .. عاد مستطرداً:

- لن أضعكم في سجن أو أطعمكم أكـل مسـموم أو أقتلكم صدفة في حادث أبداً بل سأقدمكم لمحاكمة عادلة.

٤٨- تعبت .. نحيت القلم جانباً .. ربما هذه نهاية القصة .. لقد أحكم الشبراوي قبضته على الحكم بعد أن حـدد إقامة عصابة الخمسة ووضع الرئيس السابق قيد التحفظ في فيلا نائية بالإسماعيلية توطئة لمحاكمتهم .. فكـرت أن استأذن نفسي في أجازة .. حادثتها .. لـم تـوافقني طلبت مني استكمال القصة .. صرخت .. لست دودة قز تغزل خيوط الحرير فما أنـا إلا بشـر لـي الحـق أن أستريح.. في نهاية المطاف ابتسمت لي نفسي .. سمحت لي بأجازة أستعيد فيها نشاطي وأرم أجزائي .. قـررت أن أقضي تلك الأجازة في اسـطنبول .. هنـاك لـدي ذكريات جميلة خليج البسفور والدردنيل وحبيبتي " أوشي " التركية العريضة الأدراف الشاهقة البياض .. كانـت تتلألأ .. تنير ظلمة الحجرة المعتمة .. وترتفع تأوهاتها لمجرد أنني لمست بشفتي حلمة ثـديها .. مثـل طفـل صغير .. حرمت من الأمومة وأنا في الثامنة من عمري .. ومرضت أمي فور ولادتي .. جـف نبـع صـدرها

واستعضت عن الرضاعة بلبن الزجاجة المعقمة اشتياقي لحلمة الثدي أصبح تعويضاً لي عن حرماني منه أيام طفولتي .. قضينا أياماً جميلة نتجاذب سوياً أطراف السعادة ونجني ثمار المتعة .. لم استمر هناك في اسطنبول سوي شهوراً انتقدت خلالها سياسة وزير الخارجية أثناء زيارته للسفارة .. يومها سألني عن عملي أجبته:

- سكرتير ثاني السفارة.

لم يكذب خبر .. لم تمر سوي ساعات على هذه الواقعة حتى نقلني من عملي بالسفارة إلي ديوان عام الوزارة .. ذكريات طافت عليّ وأنا حبيس حجرتي في الفندق لم أبحث عن " أوشي " فأنا دائماً أحب الاحتفاظ بذكريات عشقي نقية .. قضيت أيامي هناك متنقلاً من مدينة إلي أخري وقبل عودتي بأيام دق تليفون حجرتي في الفندق .. موظف الاستقبال يخبرني أن ضيفاً في انتظاري داخل المطعم .. لكن من هو هذا الضيف الثقيل ؟! ربما أحد موظفي السفارة .. ربما " أوشي ".. وتضخمت الربما هذه وتفرعت وتنوعت وأنا أخطو نحو المطعم .. فجأة رأيتها .. مفاجأة .. فجاءة ..

للحظات تهت وللحظات تالية حاولت استعادة نفسي التائهة وأنا أراها بملامحها الوردية الناعمة الرقيقة .. نهضت فور أن تطفلت عليها بدهشتي لرؤيتها .. لماذا وكيف ؟! وقبل أن يستقر بنا المقام على مقعدين ردت على سؤالي الاستنكاري:

- كيف تجرؤين؟
- نقعد وبعدين نتكلم أنا هلكانة من الجوع.

ذعنت لها وأنا أصحبها لمطعم " الداعور " في خليج البوسفور بعيد عن أعين المتطفلين يقدم المأكولات البحرية .. سهي تأكل الطعام بنهم شديد وكأنه آخر زادها .. بعد أن هدأت حدة جوعها رأيت الدموع تنساب من عينيها .. كلماتها تئن:

- ماذا فعلت بنا؟

ما تتحدث عنه لا أفهمه .. رددت عليها في سخرية:

- ماذا حدث هل توقفت الكرة الأرضية عن الدوران؟!
- ربما .. وربما تزايدت سرعتها عن معدلها الطبيعي.

رددت عليها في كلام مشرب بالقلق:

- بدأت تتحدثين بالألغاز.
- أنت تعرف ما أقصده.
- وأنا لا أعرف ما تقصدين.
- لماذا زوجت الشبراوي من ألفت؟!

حل صمت عميق على كلانا .. سهي تتحدث عن زواج لا أعلم عنه شيئاً .. رددت عليها في دهشة متسائلاً:

- الشبراوي تزوج من ألفت؟!
- لماذا .. لماذا تفعل بي ذلك؟!
- صدقيني أنا لا أعرف هذا الأمر إلا منك.
- فسر لي أذن كيف حدث.
- التفسير لديك .. أما أنا فلا أملك سوي تفسير واحد .. الشبراوي لم يعد يلتزم بما اكتب.
- كيف؟!
- ربما نوع من التمرد على .. ربما فقدت ملكاتي ولم يعد لقدراتي تأثير في تسطير صفحات المستقبل لا أدري.
- معني هذا أن الشبراوي مثل غيره من الرؤساء سيتزلق حتماً إلي مستنقع الخطأ.

- ربما .. وربما لا.
- كيف أذن نحميه؟
- ثمة خطأ ما في المنظومة لا بد من العثور عليه.
- أبعد ألفت فهي الشر المستطير.
- ألفت ليست جوهر القضية .. بل جوهرها إذا صح كلامك إنني لم أعد أنا.
- لا تقلل من شأن نفسك.

سكتت .. عادت مستطردة في كلمات مشرقة:

- لقد حجزت لك جناحاً في فندق أبوللو.

صمتت .. تستشف كوامني .. فهمت مقصدها .. هدفها .. همهمت في ضيق:

- إلغي الحجز يا سهي فما تطلبيه هو المستحيل.
- المستحيل نغيره سوياً لقد اشتقت إليك.
- ماذا تريدين مني وقد توجتك ملكة!!
- إنك تتخلى عني رغم أنني في أمس الحاجة إليك.
- لقائي بك مخاطرة جسيمة أخاف عواقبها.
- الخالق الذي يرسم أقدار مخلوقاته لا يخاف.

- خلط غير مقبول فأنا لست هو بل مخلوق ضعيف مثلك ومثل غيرك.

صرخت سهي في وجهي صرخة عاتية تحمل كل معاني الضيق والاستياء:

- هل تراني قبيحة؟!
- أبداً فأنت جميلة الجميلات.
- إذن لماذا تتهرب مني منذ لقاء شرم الشيخ.
- أنا لا أتهرب .. لكن.

كلمات سهي تدق داخلي .. مطارق تضرب بشدة " لماذا تتهرب مني منذ لقاء شرم الشيخ حروفها سكين تشرخني تمزقني .. تدميني .. لقد كدت أنسي هذه الليلة .. لكن كلمات سهي أعادت إلي ذكراها .. إحتواني صمت عميق .. رحت في شبه غيبوبة وسهي تردد " ماذا دهاك " أتاني طيف الذكري متلفحاً بضبابة بدأت تتقشع قليلاً قليلاً .. فيلا نائية في شرم الشيخ وأنا وسهي والعري والقبلات الساخنة والنشوة والرغبة وهمساتها الصاخبة " أنا ملكك يا خالقي " .. لقد فقدت قدراتي منذ تلك الليلة التي تحولت فيها من صانع إلي مصنوع منذ أن أصبحت طرفاً في القضية .. أحد شخوصها

.. كنت مبدعاً وتحولت إلي مادة للإبـداع .. كنـت فكـرة فأصبحت نسيجاً في قصة لذلك تخلت عني قـدراتي .. قـد فهمت لماذا لم يتحقق كل ما كتبت بعد تلك الليلة المشـئومة ولماذا تحول الشبراوي إلي غول ينهش بقايا الناس الهزيلة .. وهو يغوص في مستنقع من الكراهية وهو يحـاكم رمـوز النظام السابق أمام محكمة استثنائية تحكم على الرئيس السابق بالإعدام رمياً بالرصاص وعلى معاونيه بالسجن المؤيـد .. عرفت لماذا تعلق صورته في صدر قاعتي مجلس الشـعب والشوري وعلى الحوائط خلف كل رئيس إدارة حكوميـة .. ما فعله الشبراوي لم يأتي من فراغ بعد أن تحولت من ملهم إلي مجرد فقرة مصاغة داخل حدث بعد أن خربت قـدرتي على الإلهام .. تحولت إلي فقاعة في سائل وبدأ هو يمسـك بخيوط الأحداث يحركها كما يشاء وكيفمـا يريـد .. فقـدت بوصلة توجيهه نحو بر الأمان .. الصـور تتـزاحم علـى مخيلتي .. كل يريد مكاناً للعرض .. الصـور مشوشـة .. محبطة .. إغلاق الحديث عن مشـروع الدسـتور الجديـد بالضبة والمفتاح .. التنصل من الوعد بولاية واحدة .. تأجيل إحلال الديمقراطية لأجل غير مسـمي .. وضـع الحريـات

العامة في ثلاجة .. إعادة تطبيق قانون الطوارئ .. سـجن الكتاب والمبدعين .. تحول جهاز أمن المواطن إلـي جهـاز لإرهاب المواطن .. إقامة تماثيل الشبراوي فـي الميـادين العامة .. تعيين ابنه " جاد " نائباً لـه .. الاسـتيلاء علـى العقارات المجاورة لقصره وهدمها وضمها إلي حديقة القصر .. حديقةغناء تشدو فيها العصافير بأغاني السلطة والجبروت !! استغلال "جاد" لنفوذه بوضع يده على قصر كان مملوكـاً لأحد أمراء العهد البائد وبناء نفق أمام القصر تكلف مليـار جنية لإبعاد مسيرة الغوغاء عن مكان إقامتـه .. لقـد عـاد شبراوي إلي نفق الرئيس السابق المظلم وبدأ من النقطة التي انتهي عندها داخل النفق .. ترعرع الفساد .. فتحت البنـوك الباب على مصراعيه للصوص وقطاعي الطـرق بـأوامر شفهية منه ومن إبنه ومن كبار مستشاريه للاقتراض بضمان الأسم !! .. الصحف القومية تمجد الشبراوي بعد أن اشتري الأقلام بثمن بخس – البقاء في المركز واغتـراف المـال – الشبراوي وأخباره مانشيتات للصحف .. تحولـت إيمائاتـه وتصريحاته الغامضة إلي فلسفات نبرة النفاق والتفخيم تعلـو وتعلو والتليفزيون يذيع لقاءاته مع حكام العراق والسـعودية

وليبيا وسوريا الذين سبق أن هاجمهم في بداية ولايته واتهمهم بالديكتاتورية .. اتفق معهم على كلمة آمين ضد تطلعات شعوبهم .. البلد تحولت إلي تكية هو صاحبها.. كثر حوله المنتفعون .. تزايدت إعداد صراصير الأمن السوداء يتزعمهم وزير الداخلية الصرصار الأكبر صاحب قرون الاستشعار عن بعد .. ضاق الخناق على الناس بالتضيق على حرياتهم .. بارتفاع الأسعار .. باحتكار كلاب السلطة لمواد البناء .. بتخريب الرقعة الزراعية .. بنهب الثروات بانتهاك الأعراض .. بتحويل الجمال الفتان إلي قبح مزري تعاف العين رؤيته بتلويث الماء والهواء والمأكولات.

صحوت من غيبوبتي على صرخات سهي وطبيب بجواري يحاول إفاقتي .. لكن كل ما رأيته حفر داخلي بسن مسمار .. إنه المجهول الذي ينتظرنا .. سهي تبكي على صدري .. تهمس:

- لقد كنت في عداد الموتي.
- إنها غيبوبة الرؤي.
- لقد توقف قلبك عن الخفقان.
- نعم فالرؤيا كانت شديدة الوطأة.

احتوي كلينا الصمت لبرهة قصيرة قلت بعدها:

- علينا أن نعالج الأمور قبل أن تتفاقم.
- صدقتني !!

قالتها في نشوة انتصار .. قلت لها في إحباط وأسي:

- وعليّ أن أقدم لـك اعتـذاري فقـد اسـتغللتك .. سامحيني يا سهي.
- أسامحك؟!

قالتها في استغراب.

- نعم ما كان على أن اتقرب إليك.
- الذنب ذنبي أنا الذي أغويتك.
- لماذا؟!
- طقوس العرفان بالجميل والتعبير عن الامتنان.
- ما حدث غير من مجري التاريخ.
- لقد قدمت نفسي لخالقي لست أول من فعل ذلك.
- تصرين حتى الآن على أن لا تفرقي بيني وبـين الخالق.

بداخلي ثورة حبيسة حاولت طي مظلتها بقولتي الهادئة:

- الليلة سأغادر للقاهرة.

عدت إلي الفندق .. فوجئت .. حساب الفندق تـــم دفعـــه بالكامل .. حقائبي نقلت إلي فندق أبوللو .. ضقت بها هي لا تفهم .. لا ترغب أن تفهم أن سبب نكبتي تلك الليلـــة التـــي قضيتها في أحضانها .. اتجهت إلي فندق " أبوللـــو " فـــوق جناحي طائر الغضب صعدت إلي غرفتها .. حاولت ســـهي احتواء غضبتي دون جدوى وأنا أصيح فيها:

- إنك تهدمين كل ما بنيته بهذا الإصرار.
- لقد حجزت جناحاً باسم آخر فلا داع للقلق!!
- كيف قد حولتيني إلي عبارة فـــي قصـــة يكتبهـــا غيري.
- إهدأ قليلاً حتى نستطيع التفاهم.
- حقائبي أو أرحل بدونها.

حملت الحقائب وبعد دقائق معدودات كنت استقل تاكسياً في طريقي إلي المطار.

٤٩- بعد أن عبرت الدائرة الجمركية رأيت صرصـــاراً بشوارب طويلة في انتظاري.. أوقفني وهـــو يهمهـــم .. يتأبط ذراعي:

- معاى!!

- خير؟!
- أي سؤال ليس لدي إجابة عليه.
- على الأقل حقائبي.
- يتم تفتيشها الآن.

لم يترك لي فرصة .. اصطحبني خارج المطار .. في انتظارنا سيارة سوداء .. قذف بي مثل جوال أرز داخل السيارة .. غم عينيي بعصابة سوداء .. كله أسود في أسود .. تحركت السيارة وقد تناوبتنى الهواجس .. أسئلة كثيرة تتوارد على عقلي دون أن أحصل على إجابة شافية .. إجابة واحدة فقط استطعت العثور عليها دون جهد يذكر لقد أصبحت في قبضة من لا يرحم .. ومن لا يرحم هذه مباحث أمن المواطن .. توقفت السيارة ومازالت الأسئلة تحاصرني .. سمعت طنين حديث .. بعدها عاودت القافلة مسيرتها توقفت من جديد .. بدأت استنتج .. التوقف الأول كان أمام بوابة مبني .. التوقف الثاني داخل المبني .. يد تجذبني خارج السيارة .. تتأبط ذراعي .. تنتهي بي إلي مصعد إلي ردهة .. إلي حجرة.. جلست فوق مقعد .. سمعت صوتاً أجش يدمدم:

- فكوا الغمامة.

حجرة باسقة .. مكتب أثري .. يجلس خلفه الشـــبراوي فور أن انفكت الغمامة بادرني بقولته الساخرة:

- هو انت الروميو؟!

صمت .. صمت ما يحتويني والاحتمالات تتقاذف لعقلي والشبراوي يقف في مواجهتي للحظات وهو يتملـــى وجهـــي يسألني:

- لقد رأيتك قبل ذلك .. أين.

- لا أدري!!

- ليس وجهك غريباً على.

- يخلق من الشبه أربعين.

احتوتني الدهشة إلي هذه الدرجة عجز الشبراوي عـــن التعرف عليّ .. ربما عرفني لكنه يتغابي .. قرداتي!! عـــاد من جديد يسألني وهو يسحب مخطوطاً من درج مكتبه:

- كيف توصلت إلي كل هذه المعلو٠مات.

- أية معلومات؟!

- هذه التي دونتها في تلك الأوراق.

سكت .. عاد مستطرداً:

- من هو عميلك في الرئاسة ؟ مـن يمـدك بهـذه المعلومات؟

الصمت .. الصمت المطبق وهو يعاود سؤالي من جديد في حدة ممتزجة بالغضب:

- تعرف مصيرك إذا التزمت الصمت.

سكت عاد مستطرداً:

- دعنا من هذه الأوراق وحـدثني بصـراحة عـن علاقتك بزوجتي.

صمت ... صمت مطبق وهو يعاود مستطرداً:

- السكوت ليس في صالحك.

رددت عليه في حسم:

- إذا كنت حقاً لا تعرف الإجابة عن أسـئلتك فلـن تفيدك أقوالي في شيء.

رد عليّ في حدة:

- لعبة القط والفأر هذه التي تمارسها ستنقلب ضدك.

- أنا لا أمارس أية ألعاب معك .. كل ما في الأمـر أريد مساعدتك.

- أنت .. من أنت؟!

- تعرف جيداً الإجابة عن هذا السؤال.
- كل ما أعرفه إنك تريد تحطيمي.
- بالعكس فأنا أريد مساعدتك.
- وإذا قلت لك إنني لست في حاجة لمساعدتك.
- وأنت مقدم على أيام أسود من قـرن الخـروب لا أعتقد إنك ترفض مساعدتي.
- كلام ماسخ.
- لقد بدأت فعلاً يا ريس تسلك طريق الخراب.
- أنا لا أقدم لشعبي إلا كل الخير.
- الأمنيات وحدها لا تكفي.
- هي ليست أماني بل أفعال.
- بداية الخطأ هو التوهم.
- لسانك طويل عايز قطعه.
- يطلع بداله عشرة.

حمحم الصمت حولنا لفترة وجيزة قال بعدها الشبراوي:

- هذه الوقاحة والجرأة لا يملكها سوي واحـد فقـط كنت أعرفه.

كنت متأكداً منذ بداية لقائي به أنه يعرفني حق المعرفة لكنه أهملني لغرض في نفس يعقوب .. فلو أفصح عن ذلك لما استطاع أن يوجه لي مثل تلك الأسئلة فأنا صاحب الفضل عليه .. وأنا الذي صنعت منه رئيساً .. فكيف يعترف بأنني خالق تاريخه ثم يوجه إلي بعد ذلك سؤال واحد .. كنت واثقاً أنه طال الوقت أم قصر ستظهر الحقيقة ناصعة لا لبس فيها ولا غموض.

في تلك اللحظة حدث هرج ومرح .. أصوات متناثرة خفيفة ما عدا صوت واحد نسائي حاد بصرخ:

- أبعد عن طريقي.

الجسد الشارخ في الأنوثة يقتحم الحجرة .. لم يكن المقتحم سوي سهي .. فوجئنا بها أنا والشبراوي .. فور أن رآها همهم ساخراً:

- آدي الجمل وآدي الجمال.

سهي في حدة ممزوجة بالغضب:

- دعه وشأنه يا شبراوي.
- جاسوس يستحق الإعدام.
- لا ذنب له فيما حدث.

هبطت برأسها إلي قدميه .. قبلتهما .. بكت .. استجدته قائله:

- بدونه ستصبح قشة تتقاذفها الأمواج.

أسقط في يدي وهو يرد عليها قائلاً:

- ويحولنى لألعوبة .. دمية يحركها كيفما يشاء .. إنه سبب تعاستي .. يملك كل خيوط إرادتي .. أصبحت ملكه بعد أن كنت ملك نفسي كنت سعيداً وأنا قرداتي ألاعب الزيني والآن تحولت إلي قرد يلاعبني هذا القرداتي.

أشار إلي بإصبعه .. استطرد قائلاً:

- يتحكم في قدري .. يرسم خطوي .. يحدد مسار أفعالي بل يحدد نتائجها اصبحت ملك ديكتاتور .. حتى ولو كانت نواياه طيبة نحوي ونحو أفعالي إلا أنني أحب حريتي .. أحب حرية الخطأ .. فالخطأله نكهة ولذة مثل الصواب .. حرمني أن استمتع بتلك الحرية وهو يرسم قدري بريشته هو وليس بريشتي.

سكت الشبراوي .. بكي .. كفكف دمعه .. عاد مستطرداً موجهاً حديثه إليّ:

- هل تعرف إنني أكرهك .. فقد سلبت مني حياتي الخاصة وانت تلضمها في خيط إرادتك .. مدعياً أنها حبات الخير .. لكن أنا ما دوري !! مجرد منفذ لأوامر عُليا .. حتى أجمل مافي الوجود زوجتي تحاول سلبها مني .. وصلت بك الجرأة أن تخون رئيسك ورغم أنني غفرت لها زلتها إلا إنكما التقيتما في اسطنبول .. هل هذا هو الخير الذي تريده لي .. لكم تمنيت أن أعود كما كنت قرداتي أجوب الشوارع مع الزيني وأملك حريتي أفعل ما أريد لا أن أكون ملك ديكتاتور مثلك.

حل الصمت .. لقد أدماني بحديثه عن علاقتي بسهي .. كيف استطيع الدفاع عن نفسي .. نزوة .. ومع من .. مع زوجة الرئيس .. عاد شبراوي من جديد لحلبة الحديث قائلاً:

- كنت استطيع قتلك .. محاكمتك عن جريمة الجاسوسية .. عن علاقتك بسهي لدي ألف وسيلة للإيقاع بك لكن رغم هذا لم أفعل ربما لأنني أريد أن تصل معاً لاتفاق .. فما رأيك؟!

أجبته متسائلاً:

- أي اتفاق تقصد؟

- أن تدعني وشأني فلا تتدخل في شئوني الخاصة أو العامة.
- وإذا رفضت هذا الاتفاق.
- لا يصبح أمامي خيار سوي أن اتهمك بالزنا مع زوجتي.
- لكنها فضيحة.
- لن تكون فضيحتي .. بل فضيحتها هي وانت.
- وستكون نهاية الكل.
- نهاية أسعي إليها .. فكل ما أريده أن أعود لعملي السابق.
- ماذا تريد مني بالتحديد؟!
- أن تتوقف عن الكتابة نهائياً.
- تقصد أن اتوقف عن كتابة قصتك.

رد عليّ الشبراوي في جدية:

- أقصد نهائياً.

هي نهايتي إذن.

- لماذا تعتبر توقفك عن الكتابة نهاية لك .. مثل أي عمل يمكن استبداله.

- إلا الضمير.
- حتى الضمير يمكن استبداله.
- عندك أنت!!
- سيبك بقي من الجدل العقيم وقل لي على طلباتك .. لو لبن العصفور.
- كيف تفهم ؟
- كل ما أفهمه أمر واحد فقط أن تتوقف نهائياً عن الكتابة.
- المستحيل هو ما تطلبه.

تداخلت سهى في الحديث قائلة:

- ظلم .. إنك تقتله.

صرخ الشبراوي في حدة:

- إنت تخرسي خالص.

سكت .. عاد إلي طاولة الحديث معي:

- ماذا قلت يا روميو أمامك اختيارين إما أن تكف نهائياً عن معصية الكتابة أو أحاكمك بتهمة الخيانة.
- ماذا قلت ؟!
- كما سمعت معصية.

- تصف الإبداع بالمعصية.
- ليس كلامي يا فالح بل هي فتوى من شيخ الأزهر والمفتي.
- قلت ماذا؟!

قالها في سخرية:

- إنك تخيرني بين صورتين للقتل.
- ليس لديك اختيار ثالث .. فإذا توقفت عن الكتابة فيمكن لك شغل وقت فراغك في السياسة .. عضو مجلس شورى أو عمل دبلوماسي .. فما رأي الروميو؟!

تفكرت في عرض الشبراوي .. القرداتي والقرد .. يريد قرداً يلاعبه يؤدي له حركات بهلوانية يمليها عليه .. هل هذه نهايتي أن أتحول لقرد ؟! استغراقه طويلة أخرجتني منها كلمات الشبراوي الغاضبة:

- ليس لدي وقت كثير لأضيعه معك.

قال ذلك .. صاح في عاكف صيحتة المعهودة:

- يا عاكف .. يازفت.

مثل سهم يئز اقتحم عاكف الحجرة مهمهماً:

- أمر الريس.

رد عليه الشبراوي وإصبعه منغرز في صدري:

- حطوه في سجن القلعة.

سكت عاد مستطرداً:

- ووصّي عليه .. خليه يشوف السجن على أصوله.

السجن مظلم كئيب جدرانه عالية تطول السماء السابعة .. تحجب عني الحرية .. تمنع عني نسماتها .. فور وصولي مكبلاً بالأغلال وقبل أن يتم تسكيني في زنزانة إنفرادية وجه لي "قلعاوي" مدير السجن حزمة من ألفاظ السباب القاسي .. تطاول بها على قيمة الإبداع .. وعلى صفة المبدع .. فهو ليس سوي منحل .. آثم .. منحرف عن جادة الصواب .. تسلمني " رحماني " السجان قذف بي مثل جوال داخل الزنزانة .. أرضية أسمنتية .. حوض لغسل الوجه وصنبور معلق على الحائط للشرب وبرميل مخلفات وثلاثة بطاطين سوداء كالحة .. أمام باب الزنزانة الحديدي ممر طويل يتجول فيه المساجين ساعتين في النهار ماعداي فقد أصدر المأمور تعليماته بأن ألزم زنزانتي أربعة وعشرون ساعة .. فور أن قذف بي رحماني داخل الزنزانة بدأت أفكر فيما آل إليه حالي مستعرضاً ما مر بي من أحداث .. أسأل نفسي ..

هل يجرؤ الشبراوي أن يحاكم سهى بتهمة الزنا .. لقد استن قانوناً يقضي بمعاقبة زوجة رئـيس الجمهوريـة وشـريكها بالإعدام لو ثبت في حقها ارتكاب جريمة الزنا .. نعـم لقـد ارتكبت خطأ جسيماً في حق إحدى مخلوقاتي ولكن أبداً ليس عقاب ذلك القتل المعنوي بحرماني من الإبداع .. ربما لـو طلب مني الشبراوي فقأ عين تكفيراً لما حدث ما ترددت لكن أن أحيا ميتاً .. أمارس كل طقوس الموت وأنـا حـي مثـل ملايين البشر التي تأكل وتشرب وتتناسل بينما تعيش غيبوبـة الموت فهو المستحيل بعينه .. أبداً لن استسلم لهذا القرداتـي اللعين .. سأقاومه إلي حد إسقاطه عن عرشـه الكمـين .. تملكتني نوبة غضب جامح على نفسي .. لقد أخطأت اختيار شخص هذا القرداتي لمنصب الرئيس بعـد أن عـاث فـي الأرض فساداً وإفساداً .. حـول البلـد لإقطاعيـة يحكمهـا مجموعة من المرضى والشواذ .. أربعة تناوبوا على حلبهـا .. أطبقوا عليها .. أحكموا قبضتهم على رقبتها سرقوا ونهبوا وحوشوا وكوشوا وهتكوا الأعراض وسلبوا الفقير مالـه .. عصبة من اللصوص استولت على مقدرات البنـوك وعائـد الخصخصة وأراضي الدولة والمال العام .. عصبة تحولـت

إلي مغناطيس استقطب آلاف المنتفعين وفي النهاية تحولت خريطة البلد إلي مثلث للرعب قاعدته الشعب المستكين المغلوب على أمره وضلعاه طبقة المنتفعين وحاكم نصب من نفسه إله .. هو القادر .. هو الأوحد .. هو المتمكن يقل للشيء كن فيكون .. أعد أحد أبنائه لخلافته وترك للثاني الحبل على الغارب .. علاقات مالية مشبوهة أعمدتها الوساطة والمحسوبية واستغلال النفوذ ومغامرات عاطفية تنتهي غالباً بدراما سوداء .. قتل أو تهشيم عظام .. العائلة كلها فاحت روائحها الكريهة .. أزكمت أنف الشرف والأمانة حتى سهى التي لقبوها بالسيدة الفضلى بدأت هي الأخرى تركب موجة السلطة .. تنتزع لنفسها دوراً رئيسياً في الحياة السياسية .. تعين الوزراء وتقيلهم .. يسير في ركابها كبار رجال الدولة والمحافظون يأتمرون بأمرها وينفذون تعليماتها .. تحولت الدولة إلي كباريه يعرض للأثرياء مشاهد العري ومسرحيات الفضائح وإلي مطعم فول يقدم للفقراء حبات الفول وأقراص الفلافل مقابل ثمن باهظ .. الاستسلام والخنوع .. خلال شهور استطاعت سهي أن تكون لنفسها مؤسسة داخل مؤسسة الرئاسة أو دولة داخل الدولة ..

إخطبوط هائل بأذرع طويلة يطول كل شيء .. الآثار وقد زينت بها صالونات القصر أهداها لها الوزير الهمام "فرجاني" مقابل أن يظل شاغلاً منصبه حتى الموت .. أموال الدولة استباحتها لتدشين حلمها في الظهور والطفو على سطح الحياة السياسية.. لا تدري إنها مجرد فلينة يراها الناس هكذا ووزير الإعلام " أنوس " كما تحب أن تدلله يخصص لها مساحة زمنية في كل نشرة إخبارية وفي أكثر من برنامج لإظهار بطولتها الخارقة في مساعدة المرأة المقهورة المغلوبة على أمرها وفي الحقيقة إنها لم تنسي في يوم من الأيام أن حبها للاستعراض ليس وليد لحظة زواجها من الشبراوي بل يعود إلي أيام فائتة عندما كانت تعرض رقصاتها اللولبية في كباريه عش الغراب وما زالت حتى الآن يشجيها سماع شدو أكف تصفق لها أثناء إلقاء كلماتها في ندوة أو مؤتمر .. تحولت سهى إلي "إيفا براون" أخري تقاسم الرئيس عمله بل وفي بعض الأحيان تملي عليه قراراته .. تمكن منها حب الظهور أدمنته وهي تفتعل مناسباته حتى تاريخ ميلادها أصبح له أكثر من مناسبة سنوية.

سنين مرت وأنا حبيس زنزانتي .. تأكد لي أنني لن أخرج منها إلا جثة هامدة .. شغلت نفسي في هذه الفترة العقيمة في تدوين الأيام على حوائط الزنزانة .. وحتى لا أفقد النطق كنت أتقمص شخصيات تحادث بعضها البعض بلساني لكن ساءت حالتي والسنين تمر دون بارقة أمل واحدة للإفراج عنى .. حتى ظننت أنني هالك .. هالك .. أرسلت لسهى أكثر من رسالة دون أن أتلقي رداً فقد انشغلت عني هي الأخرى بممارسة طقوس السلطة .. ومرت الأيام بلا أمل في محاكمة .. فكرت أن أرسل للرئيس خطاباً أعلن فيه استتابتي عن ممارسة الكتابة لكنني لم أستطع .. أثناء هذه الفترة ازدادت الأمور سوءاً .. من سيئ إلي أسوء .. كنت استظهر ذلك من قراءتي للصحف وبعض الكتب .. تأكد لي أن الشعب تحول إلي فئتين .. فئة المنتفعين وفئة المحرومين .. ذئاب وكلاب يقابلهم في الطرف الآخر قطيع أغنام .. كلما جاع ذئب افترس شاه..

في اليوم الثالث من شهر يوليو وبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات ومائة يوم وأنا سجين زنزانتي .. إنفتح الباب دفع رحماني بمسجونين .. أحدهم يرتدي ثياباً رثة وقد بان

على ملامحه التعب والإرهاق تسيطر عليه حالة من الذهول واللاوعي .. فور دخوله تكوم على نفسه في ركن من الزنزانة دون أن تلفظ شفتاه بحرف واحد والثاني أشبه بواحد من مصارعي الرومان .. قوة وحسم وعزم وإرادة .. تملاني حياني صافحني .. همهم:

- عجرود .. فتحي عجرود.

في البداية أشلت المفاجأة لساني لفترة وجيزة فهذه هي المرة الأولي منذ أكثر من ثلاثة سنين التي ألضم فيها إنسانيتي في خيط بشري .. ورغم مساحة الشكوك العريضة التي اقتطعتها دواخلي تجاه الهدف من تسكين هذين الاثنين معي إلا إنني كنت أحس أن طائراً يغرد وأنا استقبلهما بحرارة وأنا أعد لهما الشاي .. وأنا أتجاذب معهما أطراف الحديث .. تحادثنا طوال الليل حتى شقشق النهار .. لم يغمض لنا جفن .. حكيت لهما قصتي .. دهشت فكلاهما يعرفها لكن من منظور الرجل الخرافي الذي يقاوم عسف الحاكم واستمعت لهما .. نفس القصة المعادة المكررة في الأنظمة الشمولية نفاذ صبر السلطة وضيقها بالنقد .. عجرود واحد من ضحايا النظام بعد أن رفض طلب الشبراوي

انضمام ابنه "علام" لمجموعته الاقتصادية التي تعمل في مجال السيارات أما "سليم " فصحفي لسانه زالف تناول في تحقيق صحفي ذمة "جاد" المالية الابن الأصغر للشبراوي .. في البداية تعجبت لسذاجة التبريرات لكن بعد أيام من عشرتهما داخل الزنزانة نامت شكوكي.

منذ زمن بعيد وأنا أفكر في خطة أعددتها للهرب من السجن لكنني كنت في حاجة إلي معجزة حتى أقوم بتنفيذها وحدي .. لقد استطعت تهريب بعض أدوات الحفر معول وجاروف وحبال ومصباحيى كهرباء وزودني أحد أصدقائي بخريطة لسجن القلعة عليها كل التضاريس .. المبني بالكامل بحوائطه وسراديبه وبنيته التحتية .. فكرت أن أعرض على سليم وعجرود خطتي للهرب لكنني ترددت .. أخيراً قررت المغامرة .. حادثتهما .. تحمسا لها بعد أن تأكد لهما المصير المظلم الذي ينتظرهما .. وبدأنا الحفر .. اثنان يحفران والآخر يراقب .. على هذا الحال شهوراً ونحن نحفر نفقاً يمتد لأكثر من ألفي متر خارج القلعة وفي الشهر الرابع اصطدم المعول بجسم صلب .. لم يكن سوي غطاء محكم .. بدأت في التنقيب حوله محاولاً استكشافه .. ربما غطاء لكنز

مدفون وربما غطاء لمقبرة أحد الفراعنة .. نظرت لساعتي قاربت الخامسة صباحاً .. هممت لعجرود:

- علينا العودة قبل أن يكتشف الحارس غيابنا.

في اليوم التالي كنا على موعد مع القدر ونحن نستكشف الغطاء .. رأيت مخطوطاً عليه أرساماً غريبة .. كتاب وبشر ساجد .. تحت رسم الكتاب حروف مطموسة المعالم .. سلطت عليها ضوء المصباح .. ما تبينته حرفي الحاء والتاء لكن ماذا خلف هذا الغطاء الأسطوري ؟! ماذا يخفي تحته؟! لا بد من استنطاقه .. عجرود يضرب الغطاء بالمعول في شدة .. أدمت يداه .. استكملت مهمته .. حطمت الغطاء البازلتى .. انفتحت طاقة صغيرة هب منها هواء بارد رطب .. تحت أقدامنا سرداب .. مضي الوقت ونحن في محاولات مضنية لتوسيع الفتحة.. عدنا إلي الزنزانة ولم نكد نلتقط أنفاسنا إلا وباب الزنزانة ينفتح على وجه رحماني .. يبلغني وهو يبكي إنه صدر حكم بالإعدام في حقي وإنه سيتم ترحيلي هذا الأسبوع لسجن الاستئناف.

لم يكن أمامنا وقت كثير لتنفيذ خطتنا في الهرب .. في المساء حملنا أنا وعجرود معداتنا ومتاعنا بعد أن رفض سليم

صحبتنا .. فضل البقاء .. كان علينا مهمـــة ثقيلـــة قبـــل أن الهبوط من الفتحة أن نهدم النفق الذي حفرناه حتى يعجز من يتعقبنا عن الوصول إلينا .. مغامرة لكننا ركبناها .. هبطنـــا من فتحة الغطاء البازلتي .. هالنا ما نري .. ما أمامنا لـــيس بسرداب بل أرض شاسعة الأبعاد .. تجـــري فيهـــا الميـــاه اشتممت رائحتها .. مياه جارية عذبة لكن أين نحن ؟! كأننـــا سقطنا من سفينة فضائية على كوكب آخر تنمو فيه الأشجار والأعشاب .. ربما أخطأنا الحسابات ومازلنـــا داخـــل أرض سجن القلعة .. لقد حفرنا ما يعـــادل كيلـــومترين .. مســـافة توصلنا إلي مشارف مقابر الإمام .. ربما غشاوة على عيوننا أفقدتنا الرؤى .. سألت عجرود في دهشة:

- هل تري ما أري ؟!
- جنة الله على الأرض.

بدأنا نسير في حذر .. نتخفى خلف الأشـــجار وداخـــل الأحراش .. فجأة أبصرنا ما لم نكن نتوقعه مخلـــوق آدمـــي قزمي .. مسخ يلتقط ثمار أحد الأشجار .. توقف .. اســـتدار .. بدأ يسترق السمع .. أسرعنا بالاختفاء خلف أحد التلال .. فجأة صاح صيحات هستيرية .. لقد رآنا .. لم تمر ثوان إلا

وتقاطر رفاقه .. دار بينهم حديث خافت لا نفهمه لا نعــرف لغته .. تملكنا الرعب زحفنا علـــى الأرض مبتعـــدين إنهــم يجدّون في البحث عنا .. بتنا في نطاق رؤيـــتهم لكـــنهم لا يروننا .. احتوانا فزع رهيب .. إنهم مثل آكلي لحوم البشـــر أجسامهم قرمزية ... يهمهمون مثل القرود .. فـــي أيـــاديهم حراب مسنونة .. يجولون المكان ونحن على بعـــد يـــاردات قليلة منهم .. مرت فترة قصيرة تفرقوا بعدها الواحـــد تلـــو الأخر وهم يتضاحكون مع المسخ كأنني كنت أسمعهم يقولون له " عملتها فينا وخدعتنا " تأكد لنا أننا دخلنا مملكة للمساخيط لكن من أين أتت هذه المخلوقات ؟! وكيف تعيش هنا ؟! ومنذ متي ؟! وكيف تواءمت مع البيئة؟!ثم هذا الضوء الساطع الذي يشع علـــى المكـــان .. مـــا هـــو مصـــدره ؟!أسئلة حاصرتنا دون أن نجد لها إجابة .. أبداً ليسوا بشر .. ربمـــا مخلوقات أدني من البشر تجمع بين صفات القردة والإنســـان .. عجرود يسألني في دهشة:

- لقد أبصروا بنا ومع ذلك تركونا وشأننا!
- ومن أدراك؟!
- تقصد أنهم عمي لا يبصرون.

- لا أدري يا عجرود لكننا أمام ظواهر غريبة يعجز العقل عن تفسيرها.

- أنظر للحقول والزرع والنباتات غاية في التنظـــيم والدقة فكيف هذا وهم لا يبصرون ؟!!

- يا عجرود كنت أتمني أن يكون لدي إجابـــة لكـــل التساؤلات لكن علينا الانتظار.

- انتظار ماذا .. أريد العودة!!

- أنت تعرف أنه لا سبيل لعودتنا.

في مكاني أنا وعجرود حتى هدأت الحركة تماماً .. بدأنا في التعرف على خريطة المكان الذي قادتنا إليه أقدامنا .. إنه واسع الأطراف شاسع الأبعاد .. لم أستطع كتمان ما بصدري وأنا أسأل عجرود.

- عارف يا عجرود ماذا يحيرني حقاً؟!

- أعرف .. كيف يتواجد تلك المخلوقات فـــي هـــذا المكان.

- بل هذا الضوء الذي ينير المكان رغم إننـــا تحـــت الأرض.

أجابني في تردد:

- ربما وهج نار مشتعلة.

ضحكت .. ضحك .. أول ضحكات لنا بعد وصولنا لهذا المكان الغامض بمخلوقاته.. بأرضه .. بزرعه .. بمائـــه .. قلت في حماس متدفق:

- هيا لنستكشف موطننا الجديد.

أثناء تجوالنا رأينا شرر نار موقدة اقتربنا منها .. توارينا خلف صخرة .. رأيناهم.. المساخيط يجلســون فــي دائــرة همجية حول نار متأججة .. يتلون صلواتهم .. فــي صــدر الدائرة تجلس امرأة ضخمة عاريــة الصــدر .. المســاخيط يتقدمون نحوها الواحد تلو الآخر يقبلون حلمــة ثــديها ثــم ينحنون لتقبيل قدميها .. علقت قائلاً:

- ربما الملكة.

بجوارها تجلس فتاة صغيرة زينت رأسها بالورود أمامها النار المتأججة .. المساخيط تتراقص حولها .. يتغنون .. في أياديهم مشاعل يحركونها في ألعاب بهلوانية .. مــر الوقــت وأنا أسأل نفسي وما ذا بعد ؟! وماذا هذه تمثلت في أربعة رجال أشداء حملوا الفتاة الصغيرة وضعوها فوق جذع شجرة ضخم .. اشتد وطيس رقصات المساخيط حولها على دقــات

الطبول وقرع الأجراس والرجال الأربعة يدفعون سيخا ضخماً في أحشاء الفتاة دون أن تتألم أو تصرخ .. أحسست أن الفتاة مخدرة تماماً .. الدماء تنزف منها وهم يحملون السيخ إلي النار معلقاً فيه جثة الفتاة .. تقايئت .. أغمي على عجرود وأطراف الفتاة تهتز اهتزازات الموت الأخيرة وهم يثبتون السيخ على عارضتي خشب .. صرختي تسبقني:

- إنهم يشوون الفتاة!

مرت فترة قصيرة ضاعت خلالها معالم الفتاة تحولت إلي كتلة لحم مشواة يقطعوها ويأكلوها .. حتى الأحشاء لم تسلم من أنيابهم .. كلمات عجرود تموج بالأسى بعد أن أفاق من غيبوبته:

- متوحشون!!

رددت عليه قائلاً:

- وما الفرق بينهم وبين قدماء المصرين وهم يقدمون فتاة عذراء لوفاء النيل.

انتهت الوليمة .. حرس الملكة المدجج بالحراب يحملوها على محفة ملكية .. في مكاننا لا نبرحه .. مشدوهين .. فما حدث أمامنا من الصعب استيعابه .. من

الصعب تفسيره .. في حيرة مما يحدث حولنا .. مما يلفنا من غموض .. مما يعتمل داخلنا من أسئلة لا نملك لها إجابات .. فحتى هذه اللحظة لم نري امرأة واحدة غير الملكة والفتاة .. فأين هم نساء القوم .. لم نفهم هويتهم ولا فصيلتهم هل هم بشر أم هم إحدى فصائل القردة الراقية ؟! وهل ما نراه وما نلمسه حقيقة أم أنه أضغاث أحلام ؟! تناقشت وعجرود علينا أن نبحث عن مخرج من هذه الورطة !!

قضينا اليوم بأكمله ونحن ندرس مخارج المكان ومداخله دون جدوى حتى هذا السرداب الذي أتينا منه وانهار لم نعثر على بداياته .. تمكن منا الجوع.. التقطنا بعض الثمار .. انفتحت شهيتنا .. على مسافة قريبة منا يقف أرنباً لم يفزع وأنا أتقدم نحوه .. لم يتحرك وأنا أمسكه .. ذبحته .. شويته .. لحم شهي حتى هذا الأرنب الذي أكلناه لم أجد لاستسلامه إجابة في أجندة تساؤلات عقلي .. لماذا لم يهرب مني أو حتى يبتعد وأنا أمسك به .. ربما هو الآخر كان مخدراً مثل الفتاة .. ربما الحيوانات هنا تأكل نبات الخشخاش ؟! قضينا بواقي اليوم في نوم عميق فوق أغصان الأشجار .. كنا مرهقين .. استيقظنا لنبحث من جديد عن مخرج لورطتنا ..

بدأنا في التجوال بحذر .. على الأطراف رأينا أكواخاً متناثرة من أغصان الأشجار مدهونة بالطين .. بداخلها خلايا نحـــل من النساء والأطفال .. لقد عثرت أخيراً على إجابة لإحـــدى الأسئلة العويصة .. راقبنا النساء .. لا يستر أجسادهن سوي قطعة قماش سفلية في عرض ورقة توت أما الأطفال فعرايا كما ولدتهم أمهاتهم .. ليس هذا هو المكان المثالي للبحث فيه عن مخرج لورطتنا .. تحركنا في الاتجاه الآخر .. انتهـت خطواتنا إلي كهف حفر بمهارة ودقة في عمق جبل بـــازلتي عبرناه إلي ممر شامخ موشى بالغموض .. حالك الظلمـــة .. أضواء المشاعل المعلقة على الجدران تحرك بداخلنا الفضول .. خافتة يترقرق ضوئها الشاحب على أرضية الممر الملساء .. الطريق محفوف بالمخاطر لكن علينا ارتياده ربمـــا هـــو الأمل الوحيد الباقي لنا توقفنا قليلاً وعجرود يســـلط ضـــوء المصباح الكهربي على الحوائط .. زهرة اللوتس محفـــورة بفنية متقنة على الصخر الأسود .. مرسومات غريبة منقوشة على الحوائط لا رابط بينها سوي القهر والتعذيب في صـــور جلد وإعدام وخوزقة وسلخ جلد وتحريق .. أين نحـــن ؟! لا أدري إلا إننا داخل ملحمة من القهر يشيب لهـــا الولـــدان ..

ضوء المصباح ينتقل من جدار إلي جدار يستعرض بضوئه أرساماً غريبة .. أربعة رجال غلاظ كبار يخنقون بأيديهم امرأة خضراء ورجل مهيب يضحك .. علقت في سخرية:

- كأن التاريخ يكرر نفسه.

سألني عجرود في استغراب:

- تقصد الشبراوي وحاشيته؟!

- ومصر هي المرأة التي يحاولون خنقها.

صورة أخري تحتل مساحة من السقف المنحني .. المرسوم غريب ومثير لرجل يجلس على كرسي العرش وأمامه راقصات عاريات النهود يرقصن وطيور تحمل وجوه بشر ترفرف ما بين النهود وصبية صغار بأجنحة يحملون في أياديهم أواني الطعام بداخلها أطفال منشقة صدورهم تمضغ الملكة كبدهم تمتمت في سخرية:

- كأني أري شبراوي وزوجته.

وصورة ثالثة لامرأة عارية معلقة من شعرها وقد شب في فخذيها وإليتها النار بينما راح شاب يرش الماء عليها .. عجرود يهمهم قائلاً:

- تحريم قاسي للجنس.

رددت عليه في ثقة:

- بالعكس هو تقديس له فالشاب يحاول إطفاء نار متعة المرأة.

صور كثيرة تزدان بها الأسقف والحوائط لكن استرعي انتباهي صورة أقرب للغرابة منها للخيال .. تثير الهواجس والتساؤلات .. مخلوق برأس ثور وقرنان وجسد إنسان وفم أحمر ولسان يقطر دماً .. نقاط الدم ترسم حروف كلمات مطموسة المعالم فوق صينية خضراء يحملها ملاك بجناحين .. عجرود في دهشة:

- تجسيم للإنسان زمان.
- بل الماضي في آنية المستقبل.

السرداب طويل .. خطواتنا تئن داخله .. لا ندري منتهاه .. توقفنا .. السرداب يتفرع لأكثر من ممر .. لا نعرف أي منها نسلك وإلي أين ينتهي ؟! خالجتني حزمة من الأحاسيس .. الحيرة .. التردد .. اليأس .. الخوف من المجهول .. وعجرود يسألني:

- أي طريق نسلك؟

أشرت لأحد الممرات وعجرود من جديد:

- وكيف تأكد لك أنه الطريق الصحيح ؟!
- الغريزة أحياناً ما تكون ملهماً.

فجأة صرخ عجرود وهو يسلط ضوء المصباح على أحد التماثيل :

- أنظر إليه .. كأنه ينبض بالحياة.

لمست التمثال .. أحسست برجفة .. مستني شحنة كهربية .. خلت أن الحياة قد دبت في التمثال لفترة وجيزة .. خطواتنا حذرة متلصصة ونحن نجتاز الممر .. مشوارنا يحيطه الغموض وتعبقه التساؤلات .. غايته عسرة أن نفك أسر الحقيقة داخل هذا الكهف الأسطوري من قيود الجهل ربما بعدها نستطيع إنقاذ أنفسنا.

الممر ضيق مفزع .. انتهي بنا إلي بوابة ضخمة فور أن تجاوزناها حط علينا أحد المساخيط .. صوب علينا حربته قذفها أخطأتنا .. لم يكن ممكناً وقد تعالت صرخاته مستنجداً إلا أن نسكته .. هوت يد عجرود على رأسه .. مرة إثنتين .. ثلاثاً .. تهاوي جسده إلي الأرض .. أمامنا مثل خرقة بالية .. أوثقنا يديه .. كممنا فمه ..فور أن اقتربنا منه زام علينا مثل ذئب ..بدأت أتأمله .. الشعر الكثيف المضفر ..

الجسد القرمزي .. عجرود يرف بيده أمـــام عينيـــه يتمـــتم بعدها قائلاً:

- كما توقعت أعمي.

غريب أمر هذا المخلوق الممسوخ إنه لا يـــري بعينيـــه لكنه يري بحواسه .. كل ما فيه يجزم إنه بشـــر حتـــى مـــع قصر قامته وسحنته المثلثة وعيناه الكفيفتان .. لكن الســـؤال كيف يتعامل هذا المخلوق الذي أطلقنا عليه اســـم "زد" مـــع الأشياء تأكد لي وهو يشيح بوجهه عندما سلطت على عينيـــه ضوء المصباح إنه يتعامل بالذبذبات قلت وكـــأنني اكتشـــفت قانون جاذبية نيوتن:

- إنه يستطيع ترجمة الإشارات إلي ذبذبات.

وبدأنا معه حديث الإشارات الممل الطويل .. وبعـــد أن تأكد لنا أنه فهم مرادنا حررناه من أسره .. بدأ يقودنـــا مـــن الممر إلي دهليز .. مسيرة ساعة .. توقف المسخ أمام بـــاب ضخم بدأ يهز رأسه يمنة ويسرى رافضاً اصطحابنا عجرود يحاول دفعه أمامنا جلس القرفصاء بكي .. قلت مشفقاً:

- دعه فأمامه خطر داهم لا يستطيع تخطيه.

عجرود يسألني:

- تقصد خلف هذا الباب؟!
- ليس أمامنا سوي عبوره.

فور أن فتحنا الباب هرب المسخ .. فـص ملـح وذاب عجباً ما نري بهو واسع تحفة التماثيل والتصاوير في وسطه تمثال عاري لامرأة .. عجرود يهمهم:

- كأني أري الملكة.

لقد قادنا المسخ " زد " إلي قصر والأمر شبه المؤكد أنه قصر الملكة .. ولجنا القصر.. أبهة وفخامة .. وميض أخاذ يأخذ بأبصارنا يفيض بضوئه على المكان.. دلفنا إلي القاعـة حطت علينا نسور الدهشة .. مناقيرها تنهش .. تذبح دواخلنا في صدر القاعة صندوق زجاجي بداخله كتاب بغلاف ذهبي .. اقتربت من الصندوق أحاول تبين معالمه وقبل أن تمتـد يدي نحو الصندوق رأينا الملكة وخلفهـا حـرس كثيـر .. الحرس لا يجرؤ على ولوج القاعة .. لم يكن أمامنا سـوي الهرب .. خلفنا الحرس المشهرة حرابهم تتعقبنا .. وعلى بعد خطوات من القاعة وعلى أطرافها بحيرة داكنة .. العدو خلفنا والبحر أمامنا !! قفزنا إلي ماء البحيرة.. سبحنا حتى شاطئها

واجهتنا أرض واطئة .. الحرس في أثرنا .. أسرعنا بتسلق شجرة باسقة.. مكثنا فوقها حتى تفرقوا.

بعد أن هبطنا من أعالي الشجرة بدأنا نتحسس المكان بأقدامنا .. وهاده ووديانه هضابه ومنخفضاته .. مرتفعاته وصخوره .. تعرفنا على دقائقه .. فهمنا الكثير من أسرار هؤلاء القوم ونحن نرقبهم عن بعد .. يعيشون حياة إنسان الكهوف رغم إنهم يمارسون طقوس عبادتهم في دور للعبادة قريبة الشبه بالمساجد .. يصلون فرادي وجماعة بلغة أقرب ما تكون لهمهمة القردة .. يألهون الفرد .. متشعوذون .. خرافيون عجرود يعقب قائلاً:

- إنهم إحدى فصائل القرود!
- لكنهم يمثلون حضارة متقدمة.
- بهذه البدائية ؟!

قالها مستنكراً.

- مجموعات من البشر لجأت لهذه الكهوف منذ زمن سحيق هرباً من اضطهاد الحاكم وكونوا هذه المملكة السفلية بعد أن اندمجت مجموعاتهم في شعب واحد.

- تقصد زمن ما قبل التاريخ ؟!

- بل عصر متقدم ربما عصر الفاطميين أيام المجاعة الكبرى وربما عصر أكثر تقدماً.

- تقصد عصر الثورة ؟؟!

- إن هؤلاء الناس لم ينسوا أبداً عقيدتهم ولا خرافاتهم ولا طقوسهم.

- بدأت المخاوف تتمكن منا .. أيام ونحن في حالة تجوال داخل مملكة المساخيط .. لم نعثر على بارقة أمل للخروج من هذا المأزق إننا هالكون لا محالة فما زال القوم يمشطون الأرض بحثاً عنا.

أثناء غفوتي سمعت صرخة .. استيقظت فزعاً .. تكررت الصرخة .. الصرخة لعجرود إنه في ورطة .. أسرعت إليه .. معلق من قدمه في فخ .. حاولت إنقاذه وفي لحظة تحريره حوطنا عشرات المساخيط .. أمسكوا بنا .. قيدونا .. سحبونا إلي القرية .. يحرسنا اثنان من المساخيط.

في غمرة يأسنا من الخلاص رأينا المسخ " زد " يتقدم نحونا .. لا نفهم .. لا نعي ماذا يريد وهو يفتح باب القفص يشير إلينا إشارات مبهمة .. يطلب منا أن نتبعه بعد أن تحررنا من القفص بدأنا رحلتنا معه .. أيام .. انتهينا بعدها

إلي كهف .. خطوات قليلة توقف بعدها أمام جدار صـــخري ضخم .. دفع الجدار .. تحرك .. انفتح .. عجرود يسألني:

- إلي أين يقودنا ؟!
- لا أدري ربما إلي حتفنا.
- ولماذا ؟!

أجبته متضايقاً:

- اسأله !!

عدنا نتبعه .. واجهتنا بحيرة أغرب ما فيها هـذا المـاء الشافّ الأزرق .. الرجل يقفز إلي البحيرة .. يشير إلينـا .. عجرود يهمهم:

- إنها نهايتنا.
- وهل لنا خيار آخر.

قفزت إلي الماء في أثري عجرود .. لا نـدري ونحـن نسبح خلف " زد " هدفنا .. فجأة غـاص تحـت المـاء .. هممت لعجرود قبل أن أغوص خلفه:

- نفس عميق !!

بدأنا مسيرة الغوص خلفه .. الماء بارد .. جسدي يتجمد .. ياردات قليلة ارتفعت بعدها رؤوسنا لنجد أنفسنا داخل نفق

.. النفق مظلم كئيب رطب نتن .. يزداد قتامة وعتامة كلمـــا توغلنا داخل رحمه المظلم .. مسيرون إلي هدف لا نعرفه .. لا نفهمه .. النفق يزداد ضيقاً بالكاد يسع أجسادنا .. الشكوك من جديد تساورنا ونحن نزحف على بطوننا .. جـــرذان أو ثعابين .. بدأت معالم الطريق تتضح .. السرداب يتســـع .. يزداد اتساعاً .. نتنفس رائحـــة هـــواء نقـــي فجـــأة توقفنـــا فالسرداب مغلق .. " زد " يتحسس الصخر .. يروح ويجـــئ .. يمسح طبقة تراب عالقة .. لا نعرف ماذا يريد .. نحاول حديثه بالإشارات .. لكنه لا يعبأ بنا .. مر يوم كامل ومازال " زد " على حاله يلف ويدور يتحسس الصـــخور بيديـــه .. احتوانا يأس رهيب وزد يجلس القرفصاء .. ينـــام .. أثنـــاء نومه همس عجرود في ضيق:

- ينام ونحن في هذه الورطة.
- ربما ليستعيد نشاطه الذهني ويصل لشفرة إنقاذنا.
- مازال لديك أمل.

قالها في يأس.

- الأمل في الله وحده.
- اللا .. استشيخت.

- في وقت العجز والأزمات ليس أمامنا سواه.

انتحيت ركناً .. حاولت النوم لم استطع .. بجواري زد يشخر شخيراً عالياً وعجرود هو الآخر وقد غالبه النعاس .. نهضت من مكاني على أطراف أصابعي وأنا أفكر .. أن زد يحاول فك لغز هنا مع تلك الصخور البازلتية التي تحوطنا .. بدأت أتأملها .. أمسح عنها التراب .. الصخور سوداء صلدة ربما أعثر على علامة .. رسم .. كتابة .. أبداً لا شـــيء .. أمواج الشكوك ترفعني لأعلي ثم تخسف بي إلي القـــاع أن " زد " يعرف هذا المكان جيداً والدليل أنه قادنا إليه بـــل هـــو متأكد أنه سبيلنا الوحيد للحرية .. لكن كيف ؟! بدأت اتجـــه اتجاهاً آخر وأنا أبحث تحت قدمي أحاول أن أعثر من خلال الصخور على دليل يهديني دون جدوى أمســكت بالبوصـــلة أحدد بها الجهات الأصلية .. المؤشر ينجذب بشـــدة عكـــس الاتجاه الصحيح .. لا أصدق ما أري بعينيي .. هل هي كتلة مغناطيس هائلة .. الساعة نعم الساعة .. خلعتها .. فوجئـــت لقد انجذبت إلي الصخر في نقطة معينة لكن ماذا يعني هذا ؟ هل هي صدفة محضة .. أم أننا أمام كشف لغز حريتنـــا ؟! بدأت أحرك الساعة على الصخور .. مكان واحد لا يتعـــدى

قطره نصف متر فقط هو الذي يجذب الساعة .. لكن هذا لا يعني بالضرورة إننا أصبحنا قاب قوسين أو أدني من الحرية وأن هذا المكان هو سبيلنا إليها .. لكن السؤال الذي شاغلني إذا لم يكن هذا الاستنتاج صحيح فكيف بتفسير مغنطة المكان .. ربما نجد الإجابة عند " زد " .. أيقظته .. فزع .. رأي ما توصلت إليه .. بدأ يرقص رقصات هستيرية .. يحضنني يقبلني .. يهبط إلي الأرض يقبل قدمي .. لا نفهم .. لا ندري لماذا كل هذا ؟! .. فتح زد لفافة كان يحتفظ بها منذ بداية رحلتنا .. بداخلها الصندوق الذي رأيناه داخل القصر .. سلط الصندوق على الصخر .. رأينا الصخر يتهاوى .. ينجذب للصندوق .. يتفتت .. شعاعاً ينفذ من خلال ثغرة ضيقة .. زد يلتقط الأحجار .. يقذف بها .. يوسع الثغرة صوتي يسبقني وأنا أحضن عجرود:

- إنها الحرية .. الحرية يا عجرود.

تملكتنا قوى هائلة ونحن نوسع الثغرة .. أخيراً استنشقنا عبير الحرية بعد أن اجتزناها .. أصر " زد " على صحبتنا .. في هذه اللحظة فقط فهمنا لماذا تحمس لمساعدتنا.

كنت أعرف إنه بمجرد تواجدي داخل الشقة سيتم القبض على ذلك آثرت السفر إلي شاليه أملكه في الساحل الشمالي .. صحبت معي زد .. حلقت له شعره .. اشتريت له ثياباً جديدة .. بدأ يمارس حياته معي .. الغريب أن الصندوق لم يكن يفارقه حتى وهو في الحمام.

القاهرة تحترق .. كنت أظن في بادئ الأمر إنها مجرد تمثيلية أو فيلم وثائقي يعرضه التليفزيون لكن ما رأيته حقيقة .. القاهرة كلها تحترق أسرعت بالعودة .. الطرق مغلقة .. الجيش في الشوارع .. الشرطة تقف عند كل ناصية لكن هذا لم يمنع الحرائق أن تشتعل في البيوت .. في المحلات التجارية .. في السيارات .. في الأكشاك .. لم يمنع أعمال السلب والنهب .. ما رأيته أذهلني .. إنهم المساخيط .. يهاجمون أحياء الزمالك ومصر الجديدة وجاردن سيتي .. لقد استولوا على الدبابات والمدرعات وجهوا مدفعيتها إلي الجنود والشرطة .. آلاف ضحايا العنف قتلى أو مصابين خلال أيام قليلة .. استطاعوا الاستيلاء على التليفزيون .. وسحلوا وزير الإفك .. رأيتهم وهم يسحبونه بملابسه الداخلية .. رأيتهم وهم يخلعون عنه سرواله .. يدوسونه بأحذيتهم وأقدامهم ..

رأيتهم يقبضون على " شملول " رئيس مجلـــس الشـــعب .. عاري كما ولدته أمه .. يطلقون عليه دانة مدفع تحوله إلـــي أشلاء .. لم يسلم المتصابي شرارة رئيس مجلس الشـــورى من انتقامهم ربطوه في حبل وجروه خلف مدرعة وظل هكذا أياماً .. تشوه جسده وتمزقت أوصاله وأخيراً قذفوا بــه فـــي إحدى البلاعات أما المكرش العظيم صاحب نظريـــة شـــيل بالكوم واتعلم العوم فقد اختبأ في نادي العاصمة الـــذي كـــان يأكل فيه كبده البط الفرنســاوي المســتوردة ولمـــا رفــض الاستسلام أطلقوا على المبنـــي قـــذائف الأربجـــي فتحـــول المكرش العظيم إلي جزء من أنقاض المبني .. لـــم يقتصـــر الأمر على هؤلاء بل اتجهت جحافل المساخيط إلي القصـــر الجمهوري بالمدرعات والدبابات .. أول ما فعلوه هو الطائرة الهليكوبتر التي كانت تستعد للإقـــلاع بالشـــبراوي .. قتلـــوا الطيار وأحرقوا الطائرة ثم أحرقوا القصر. حاول الشبراوي الهرب كان يحتضن الزيني قرده وبرفقته ولديـــه وعشـــرات الحقائب المكدسة بالأموال .. لم يكن من العسير القبض عليه هو وكل أفراد عائلته .. كل هذا والعالم يتابع أخبار المأســـاة من خلال القنـــوات الفضـــائية .. انتقلـــت الفوضـــى إلـــي

المحافظات بدأت بطنطا ثم كفر الشيخ ثم المنصورة بعـــدها انتشرت في جميع أنحاء المدن والقرى .. آلاف قتلت ودفنت خلال أيام .. انتشرت المذابح .. لا أحد يستطيع وقفها.

جرس الباب يدق .. فتحت الباب .. فوجئت .. ســـهي أمامي .. بكت .. قبلت قدمي استنجدت أن أنقـــذ البلـــد مـــن المحنة .. بكيت أنا الآخر وتمتمة يائسة تنفرج عنها شفتاي:

- لا أستطيع .. لا أستطيع فقد خرج كل شيء مـــن يدي.

لا تعرف .. لا تفهم أن المساخيط التي تحـــررت مـــن القمقم ليس هدفها الانتقام من الشبراوي وحاشيته بـــل مـــن التاريخ الذي حبسهم تحت الأرض قروناً طويلة .. " زد " هو الآخر يشارك في مؤتمر البكاء الثلاثي يبكي ضحايا قومـــه القتلى منهم بالآلاف .. لكنها إرادة الانتقام من عدو مجهـــول استعبدهم ومارس عليهم كل شـــذوذ العبوديـــة .. اقتـــنص إرادتهم ونكل بهم .. لم يكن الشبراوي وحاشيته سوي السبب المباشر لثورة العبيد لكن المفجر الحقيقي لهذه الثورة هو ظلم التاريخ لهم خلال مئات السنين تحولوا خلالها إلي مســـاخيط .. تملكني ندم شديد أن أكون الخيط الذي تتبعه هؤلاء القـــوم

ليحرقوا أو يدمروا ويقتلوا .. صرخت وسـهي مـن جديـد تستجديني أن أوقف المذبحة :

- أنا السبب في كل ما حدث.

" زد " ينصت إلينا .. اختفي للحظات .. عاد من جديـد إلي جلستنا وفي يده الصندوق الذي لم يفارقه .. سلمني إيـاه .. لا أدري .. لا أعرف محتوي هذا الصندوق كـان " زد " يرتجف عندما حاولت فتحه .. الأسئلة مازالـت تحاصـرني ماذا في الصندوق ولماذا سرقه ؟! .. سألته لـم يجيبنـي .. الصندوق مغلق بأحكام تكررت محاولاتي لفتحـه .. أخيـراً تمكنت من رفع الغطاء .. بداخل الصندوق كتاب غلافه مـن الذهب الخالص نقشت عليه مرسومات غريبة .. مجموعـة من العبيد ترسف في الأغلال وشمس تحجب أشعتها سـحابة رمادية..ما هذا وماذاك؟! فتحت الغلاف .. أعقبـه صـرخة مدوية من " زد " .. وقع مغشياً عليـه .. محتـوي الكتـاب صفحة واحدة وأربعة حروف متباعدة .. ح.ر.ي.هـ .. فور أن فتحت الغلاف بدأت الحروف تتقارب تتشابك تكون كلمـة واحدة .. " زد " يسـتفيق .. يتـراقص .. يحتضـنني .. لا

أصدق ما أراه وهو يمسك بالكتاب .. يقبله .. يسجد له..
الدهشة تعصرني وأنا أهمهم:

- لقد أبصر !!

" زد " يندفع إلي الخارج .. بيده الكتاب .. يلتحم بمئات المساخيط .. لقد أبصروا مثله .. يحملون الكتاب وهم يتراقصون صيحاتهم تعلو وتعلو .. أحرار لا عبيد .. انتصر المساخيط.